قفزات التغيير

مذكّرات مصوّرة لـ "مغامر سعودي"



تقديم البروفيسور: عبدالله السبيعي

عبدالله بن محمد الحسين



قفزات التغيير

مذكّرات مصوّرة لـ «مغامر سعودي»

عبدالله بن محمد الحسين

الطبعة الأولى
٢٠١٢ م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحسين ، عبدالله محمد
قفزات التغيير. / عبدالله محمد الحسين .- الرياض ، ١٤٣٣هـ
..ص ؛ ..سم

ردمك: ٦-٧-٩٥٤٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الثقافة العربية ٢- التغير الثقافي ٣- الرحلات أ.العنوان
ديوي ٣٠١,٢٩٥٦ ١٤٣٣/٢٧٠٩

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٢٧٠٩
ردمك: ٦-٧-٩٥٤٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨



إهداء

إلى والديّ العزيزين .

إلى زوجتي الغالية .

إلى الأهل والأقارب والأصدقاء .

إلى المعهد العائلي الذي استضافني .

إلى المعلمة التي حثتني على الكتابة .

إلى كل من ساندني .

إليكم . . .

إهداء خاص

إلى ....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

تقديم

قفزات التغيير . . .

أسلوب طريف وشيق، في شرح خطوات التغيير الإيجابي . . يأخذك من خطوة إلى أخرى ، دون أن تشعر ، معتقداً أنك تقرأ قصة شاب سافر ليتعلم اللغة الإنجليزية فحسب . إلا أن هذه قصة هذا الشاب ، وما فيه من مفارقات ولحظات تحبس الأنفاس ، تجعلك لا تستطيع التوقف قبل الانتهاء من قراءتها .

يمتلئ الكتاب بمواقف تلقي الضوء على الاختلافات الثقافية ، من خلال ما يتعرض له الطالب المسافر من عقبات ومشكلات وكيف يتغلب عليها ، تارة بالطريقة العربية المعتادة التي تجنح إلى المكر والالتفاف حول الأنظمة ، وتارة أخرى بتقبل الثقافة الأخرى وتعلم الطريقة الأمثل للتعامل معها .

بدأ الكتاب بقفزات في الهواء كانت مجرد أحلام وترفيه . . ثم انتقل إلى عالم الواقعِ المختلط بالمغامرة وطموحات الشباب . . ثم انتهى بقفزات حقيقية غيرت كثيراً في منهج التفكير ورؤية الآخر . . فضلاً عن تعلم لغة القوم والانخراط في مجتمعهم .

الكتاب الأول للابن عبد الله بن محمد الحسين ، وهو بداية مبدعة ، من شاب يتوق إلى التغيير الإيجابي . . ولكن بأسلوبه الخاص وهدوئه المهيب . . .

أ.د. عبد الله بن سلطان السبيعي
استشاري وأستاذ الطب النفسي
كلية الطب ، جامعة الملك سعود

– أهلا بك معنا سيد عماد ، هل تريد المشاركة وخوض المغامرة ؟ نعم أنا أتيت قاصدا المشاركة .

– حسنا أرجو منك تعبئة هذه الأوراق ، والتوقيع على عدم تحملنا أدنى مسؤولية . وأنك تتحمل جميع ما يحدث لك من أضرار أو إصابات .

. ماذا! إخلاء مسؤولية وإصابات ، يبدو أنني استعجلت في قراري .

. حامد ما رأيك هل ستوقع أنت؟

– نعم ، هل نسيت ماذا قال لنا سمير عندما فعلها الأسبوع الماضي ، فقد نصحنا في التجربة وعدم تفويت الفرصة ، عماد هل أنت خائف؟

. لا لست خائفاً ، في الحقيقة قد كنت خائفا قبل يومين ولم استطع النوم جيدا عندما اتفقنا على أن نذهب ولكني اليوم فوجئت أن هناك إخلاء مسؤولية وعدم تحمل أي شيء ، ربما تحدث لنا مصيبة .

– هذا صحيح عماد ولكن يبدو أن هذه هي شروطهم ويجب علينا التوقيع .

. ما رأيك يا مارك؟

– أفعلها ولا تتردد فأنا فعلتها في سويسرا مرة ، وهي هنا أرخص بكثير ، ولولا أن الطبيب نصحني بالاهتمام بركبتي المكسورة وعدم إرهاقها في أي جهد لكنت في المقدمة .

. حسنا ، سأقوم بالتوقيع ، ولنرى ما هي النتيجة ، فمنذ اليوم الأول لي في هذا البلد عاهدت نفسي أن أخوض كل المغامرات والأخطار .

– . . . يأتي رجل أشقر حسن البنية ، يبدو أنك عماد ؟

. نعم هذا صحيح .

– أهلا بك معنا أنا « إكرو» المدرب الذي سوف يكون معك في هذه الجولة ، وأحببت أن أخبرك بأنك أول شخص في هذه المغامرة ، وأنك اخترت ارتفاع خمسة عشر ألف قدم؛ هل أنت مستعد لذلك ؟

. نعم . مستعد وأعلم أنها ستكون شيقة .

– أتمنى ذلك ، أسير معه إلى الداخل ، لو سمحت جرب هذا اللباس هل مقاسه جيد؟

. شكرا ، مناسب جدا .

– هذا اللباس مخصص وفيه أربعة أجزاء أمان كما ترى ، كي تكون مربوطا بشكل محكم . الآن سوف نبدأ بالتصوير المتحرك من خارج المركز ، أرجوك تفضل معي من هنا نذهب إلى الخارج .

. حسنا سيد إكرو ، ولكن أود إخبارك أن لغتي الانجليزية غير جيدة .

– لا بأس ، فالأمر بسيط .

– ١ ٢ ٣ بدأ التصوير .

– لنرى من معنا هنا ، أهلا بك معنا في مدينة « تاوبو» وفي شركة « سكاي دايف » للقفز الجوي في نيوزيلندا . ما اسمك ؟

. عماد .

– ما هي خطتك لهذا اليوم ؟

. ماذا؟

– ماذا ستفعل؟

. نعم . نعم أريد أن أقوم بالقفز الجوي .

– هل تقصد أنك ستقفز من طائرة ؟

. نعم .

– هل أنت مجنون ؟!

. نعم . نعم سأجرب .

– لا تقلق ، سوف نساعدك ، هل تريد أن تخبر المشاهدين لك في هذا الشريط شيئا؟

. لا ، لا شيء ، فقط أريد تجربة القفز الجوي إنه جيد .

– ممتاز ، هيا لنذهب إلى القفز الجوي .

• • •

. في هذه الأثناء أجلس على الكرسي فتعود بي ذاكرتي إلى ليلة الرحلة .

– الوالد: يا بني ، متى موعد الرحلة؟

. الساعة العاشرة .

– هل قمت بإعداد حقيبة السفر جيدا ؟

. نعم ، والآن سوف أنزل لتوديع أمي والأهل ؟

– الأم: لماذا تذهب يا ولدي؛ فالغربة كلها مخاطر ؟! وأنت لا تحتاج لشيء . يكفيك العمل مع والدك ؟

. لا تقلقي يا أمي؛ فلن تطول غربتي؛ هي فقط ثلاثة أشهر ومن ثم أعود .

– لا بأس عليك يا ولدي احفظ الله يحفظك ، وتنبه لنفسك ؟

. إن شاء الله تعالى ، لا حاجة إلى الدموع والبكاء ، يا أم عماد ؛ فأنا رجل يعتمد عليه .

– الأهل: وداعا ، نتمنى لك التوفيق .

– الوالد: هل تريدني أن أوصلك إلى المطار ؟

. لا يا أبي، لا داعي إلى ذلك، محمد ينتظرني في الخارج، ومعه سالم، وسوف يأخذاني إلى المطار.

– حسنا بني، لا تنسى أني لن أقبل بأقل من سنة لتتعلم جيدا ؟

. لا بأس، ولكن ماذا لو علمت والدتي بذلك؛ فأنا أخشى أن يصيبها مكروه.

– لا تخف يا بني، ولكن أنت قم كل فترة بالاتصال بها، وأخبرها أنك تريد شهرا إضافيا لتكمل برنامج التعلم.

. سمعا وطاعة يا أبت، فإلى اللقاء يا أبا عماد.

– وداعا يا بني، في حال احتياجك إلى أي شيء فقط اتصل.

. مع السلامة. أسير للخروج من المنزل.

• • •

أمشي مسرعا وبداخلي رغبة تريد أن تفجر ما حولها؛ حتى تحرر نفسها من قيدها الذي عذبها لفترة طويلة.

. أهلا محمد. أهلا سالم.

– محمد: أهلا يا «خواجه».

– سالم: جاهز يا سعادة سفير نيوزلندا.

. جاهز إن شاء الله، يا شباب «وجهوا للمطار».

– سالم: لا تستعجل يا صاحبي، سوف نذهب إلى سرور فهو ينتظرنا في الطريق.

. حسنا، هيا بنا ؟ يا شباب هل تعلمون أني يعتريني قلق شديد على أهلي؛ فهم بحاجة إليّ.

– محمد: لا تخف يا عماد، أنا سوف أتفقد احتياجاتهم كل حين، وسالم سيساعد أباك في العمل. استمتع جيداً؛ فربما لن تتكرر لك مثل هذه الفرصة.

. نعم، هذا صحيح. هل تعلمون يا شباب أنني في قمة الحماس لذلك.

– سالم: أنت من الأشخاص المحظوظين يا عماد. لكن لا تنسى أننا سنأتي إليك في الإجازة ونقضي ـ معاً ـ أمتع اللحظات، بعيداً عن الديار؟

. أنا انتظركم، فمن الآن يجب عليكم جمع تكاليف الرحلة. نسير بالسيارة نحو المكان المتفق عليه.

– اسأل سالم هل سرور هنا، نعم محمد توقف خلف تلك السيارة.

– يأتي سرور نحونا. السلام عليكم يا شباب «العروبة».

. أرد، وعليكم السلام يا فتى «التحلية». محمد أرجو أن تستعجل فالوقت متأخر؟

– محمد: يا عماد هدئ من روعك لا تخف سنصل في الوقت المناسب.

. نسير في السيارة على طريق المطار مسرعين، كالعادة.

– سالم: محمد، محمد انتبه رادار على الجهة اليمنى.

– محمد: لقد رأيتهم يا سالم، وعموما هذا مكانهم الدائم.

. صحيح كلامك، أصبح وجودهم لا يؤدي الغرض بتخفيف السرعة، ولكنهم يستطيعون تنفيذ طريقة أفضل من هذه الطريقة المستفزة. لماذا لا يضعون عدسات مراقبة على طول الخط، ويكثرون من علامات التنبيه، وينتهي الأمر. نحن في عصر التطور.

. نحن نعلم أن المسئولين حريصون على ضبط النظام المروري، وهي مسألة وقت ويتم تصحيح وتطوير هذا القطاع. نتوقف عند نقطة التفتيش.

– الجندي: إلى أين أنتم ذاهبون يا شباب ؟

. « للمطار» .

– هل تحملون بطاقات الهوية ؟

. نعم ، جميعنا مواطنون .

– أنتم لم تسرعوا صحيح؟

. صحيح ، السرعة قاتلة .

– يشير الجندي بيده تحرك .

. سألت سروراً كيف هو العمل في المستشفى؟

– سرور: يجيب أي عمل ؟! كل الوقت يمضي في المحادثات ، وفي شرب الشاي ، وإذا قاربت الساعة الحادية عشر توجهنا إلى مركز المملكة للتغيير والتنفيس .

. وماذا تعمل بكشف التوقيع والانصراف .

– سرور: أنا متفق مع ممرضة لتقوم بالتوقيع في حال تأخري .

. لماذا لا تكون مخلصا في عملك؟ فالجميع بحاجة إليك ؟

– سرور: في بداية الوظيفة كنت كذلك ، ولكن لا يوجد هناك من يقدر جهودنا؛ فصرنا نوزع العمل على الطلاب الذين يأتون للتطبيق. المهم لا عليك ، أنت احرص على تعلم اللغة فهي ضرورية .

. نعم ، صحيح ، أسأل الله أن يعينني على تعلمها .

– محمد: ها نحن قد وصلنا .

. ندخل في المواقف ونتجه إلى بهو المطار الدولي .

– سالم: « يا ساتر » لماذا هذا الازدحام .

. من الطبيعي أن ترى ذلك ، البلد مليء بالعمالة . ليس ذلك فقط؛ فالفضل ـ أيضا ـ يعود إلى خدمات العاملين في المطار ، وفي بطء انجاز الأعمال ، وقلة

عددهم ، فهذه صالة دولية والمفروض أن تكون مليئة .

– سالم: ليس هناك مشكلة المهم أننا نمتلك وقتاً كافياً ، حسنا حان وقت دخولي إلى البوابة والجلوس في مقاعد الانتظار .

– محمد: سوف افتقدك يا عماد .

. لا تقلق أخي الغالي سوف تمر الليالي بسرعة ، ولا تنسى أنكم سوف تأتون إلي .

. إلى اللقاء يا شباب دعواتكم لي .

– الله يوفقك يا عماد .

أمشي إلى الداخل عبر مكتب الجوازات ، ثم أمر في جهاز التفتيش ، وأسير نحو البوابة ، وأنا ألتفت إلى الأصدقاء أشعر بشعور غريب ، بين حزن ودموع الوداع وبين فرحة وبهجة السفر . ثم أقول نعم ، ربما أن السفر خير لي من البقاء؛ فقد واجهت الكثير من الضغط النفسي وخيبة الأمل ، مؤخرا . وهذه الفرصة قد أتت في وقتها لكي أحرر نفسي من القيود المفروضة علي . فأعبر عن صادق رغباتي وحاجاتي ، دون اكتراث بأحد .

• • •

مقاعد الانتظار



ها أنا ذا جالس هناك، بعيدا عن الجميع، قبل موعد الرحلة بوقت كاف، ممسكا جواز السفر وتذاكر صعود الطائرة، ولأول مرة. يطول بي الوقت ويكاد الألم في داخلي يعصرني وأنا ما زلت في الانتظار، يا الله متى يتم فتح البوابات. أريد الفكاك من كل شيء يربطني بهذا المكان. أكاد لا أصدق؛ هل أنا فعلا بعد لحظات سأكون حرا طليقا وأودع أحزاني وبؤسي، لأذهب إلى مكان آخر، ربما أجد فيه السعادة والهناء. نعم هي أول رحلة لي إلى خارج هذا الوطن، ومباشرة إلى أقصى مكان في العالم، إلى أول أرض تشرق فيها الشمس، إني إليها لمشتاق.

– جرس التنبيه: السادة الكرام المتجهون إلى هونج كونج (رحلة رقم ١٠٧) الرجاء التوجه مباشرة إلى البوابة. وشكرا.

– جرس التنبيه.

أخيرا. بعد كل هذا الانتظار. أقوم بحزم أمتعتي وأمشي إلى البوابة المؤدية إلى الطائرة وأجلس في المكان المحبب إلي، بجانب النافذة، والأمر الجميل أن عدد الركاب قليل جدا. أربط الحزام وأغمض العينين ثم آخذ نفسا عميقا، الآن نعم، ومع الإقلاع أصرخ بصوت دفين في أعماقي كصوت الرمال وهي تتهاوى إلى قاع البحر فهي تنهار بشكل مفاجئ وبسرعة هائلة. أصرخ، نعم أصرخ وأقول الآن جاء وقت التحرر من كل القيود في حياتي. والآن أحقق المقولة: «أطلق العنان لمخيلتك» وإن خيالي الآن كالمهر الطليق في أرض فسيحة لا يأتيه أحد ولم يجرؤ كائناً من كان أن يضع عنانا عليه أو الاقتراب منه . . .

– مضيف الطائرة: عزيزي هلا أفقت يجب عليك أن تربط الحزام حتى نستعد للهبوط.

عفوا ماذا قلت! هبوط . يبدو أني أطلقت العنان لسباتي حتى قضيت قرابة السبع ساعات بدون وعي أو إدراك . على كل حال لا بأس علي فأنا لا أحب الطيران . حمدا لله هبطنا بسلام أنزل من الطائرة وأدخل مطار هونج كونج كأنه لضخامته امتداد إلى سور الصين العظيم .

– موظفة الاستقبال: أهلا بك في هونج كونج تفضل الطريق من هنا .

شكرا . أمشي وأنا غير مصدق لما أرى فالناس يتحركون بسرعة ، وكأنهم آلات . الآن كيف لي أن أعرف مكان بوابة رحلتي الأخرى . من حسن حظي وجدت شابا سعوديا دلني على البوابة ، جلست في كرسي الانتظار وفتحت جهازي المحمول أتسلى به قليلا ، ثم اتصلت بأبي العزيز وبلغته وصولي سالما . بجانبي عدد لا بأس به من السعوديين ونحن ننتظر الرحلة ، بقي ما يقارب الساعتين حتى تفتح البوابة ، وفي هذا الوقت جلسنا نتحادث ونتناقش عن نيوزيلندا وكل شخص إلى أين سيذهب وبجانبي شخص يدعى سلمان ، قال لي: هل عندك قبول في أوكلاند ؟

. أجيبه لا ، بل لدي قبول في مدينة أخرى .

– سلمان: أنا لم أسجل بعد في أي معهد ، وسأبحث هناك عن المعهد المناسب . وفي الحقيقة لا أعلم تحديدا إلى أين سأذهب .

. قلت لا عليك ، خذ هذه الورقة فيها أرقام مكتب سوف يخدمك .

– سلمان: أشكرك أخي عماد .

. العفو . عموما كم المدة التي تريد قضاءها هناك ؟

– لا أدري ربما ثلاثة أشهر . ماذا عنك ؟

. سنة كحد أدنى ، إن شاء الله تعالى .

– أسأل الله لك التوفيق .

• • •

رحلة فوق المحيط



ركبنا الطائرة المتجهة إلى أوكلاند والتي سوف يكون معظمها فوق المحيط ، وما أثار حيرتي واستغرابي ، أن عدد الركاب كبير جدا . فعلا ، أمر مدهش ، ولا أدري ما سر ذلك . ترددت في نفسي تساؤلات كثيرة ، هل نيوزيلندا لها شعبية كبيرة . أم أن الصينيين يرغبون في قضاء فترة الصيف هناك . أم ماذا ؟

كان حظي سيئا في هذه الطائرة ؛ فمقعدي في مؤخرة الطائرة ، وبجانبي رجل غريب الملامح فهو لا ينتمي إلى الذكور ولا إلى الإناث ، ورائحته عفنة لا تطاق . هذا غير مهم ، ولكن المهم هو أنه بعد أن أقلعت الطائرة وحلقت في السماء ، اكتشفت أن سماعة المقعد معطلة طلبت تغيير مكاني دون جدوى . تأكدت أن حظي سيئ اليوم ، فكيف سأقضي قرابة الأربع عشرة ساعة في مكان واحد دون حراك . وبدون أية وسيلة ترفيه ، وبحسب خبرتي المتواضعة لم أعلم أنه بإمكاني استخدام الكمبيوتر المحمول على متن الطائرة « أول مرة أسافر » . ولست من رواد القراءة؛ فكلما أمسكت بيدي كتابا أتذكر الجامعة والدراسة ، فأرميه بعيدا .

حاولت النوم فلم استطع ، زاد همي وغضبي لما رأيت السيد بجانبي غارقاً في النوم والفلم لم ينته ، بعد . وما «زاد الطين بلة» أني أكلت وجبة غير جيدة ، فعكرت مزاجي . حينها بدأت الأفكار المخيفة تراودني . ساعدت في ذلك الأجواء المتغيرة أثناء الرحلة «والمطبات الهوائية» مع كل حركة ، تقول لي قربت ساعة النهاية ، ومفارقة الحياة . فلا مفر والعاصفة الرعدية أمامك . ستهلك لا محالة ، وسوف تكون قصة تروى للأجيال من بعدك . بل سوف تنسى ، ولن يبقى لك أي أثر بين أمواج المحيط .

هي أطول رحلة في حياتي ، وقد ندمت حين لا ينفع الندم بخروجي من بلدي الذي ولدت وترعرعت فيه . بدأ الشك يتسلل إلى مخيلتي ، ليخبرني أن هذه الرحلة ليست رحلة التحرر بل جعلني أجزم أنها رحلة الموت . فكرت مليا بطريقة عودتي أثناء الرحلة ، طرحت فكرة الإبحار في باخرة وسرعان ما خطفني إعصار شق عقلي و أراني أمواجا طويلة ، سوداء ، تضرب الباخرة فتجعلها أشلاءا متراكمة . في تلك الأثناء استسلمت للأمر الواقع فوضعت رأسي على النافذة أرقب الظلام والغيوم السوداء ووميض البرق الخاطف بلونه الأزرق ، تارة يظهر وتارة أخرى يتلاشى ورشات المطر تزيد وتنقص .

مكثت على هذه الحال فترة طويلة ، كان يسرني رؤية القمر عندما تنجلي عنه الغيوم وأعود في حزني عندما تغطيه . أحببت إطلالته التي كانت تتشكل ببسمة يبثها إلي ، عبر نوره الأبيض ، عشقت تلك الابتسامة وغرقت في تأمل القمر ، وقد سامرني طيلة ليلتي .



بدأ النور ينبعث من الأفق البعيد ، وبدأ لون السماء يتغير ، من الأزرق الداكن إلى الفاتح وأنا أرى السماء بعين مودعه لذلك القمر الذي لم يتركني وحيدا . ابتعد القمر بسرعة ، وخفت ضوؤه ، ثم ظهرت حمرة في الأفق من الناحية الأخرى ، تفصل بين الخيطين ، ثم أطلت الشمس وكشفت وجهها الدافئ .

فقام مضيف الطائرة بتوزيع بطاقات طلب منا تعبئتها ، حتى حان موعد الهبوط وبدأت الأرض الخضراء بأهازيجها وحركة أشجارها ، فرحة بمقدمنا سالمين .



• • •

أول خطوة



حملت الجهاز المحمول على كتفي، وانطلقت مسرعا أريد السجود لرب العالمين الذي أنعم علي، ورحمني وأوصلني بخير. كدت أن أقبل الأرض من شدة الأنس في أول خطوة لي في المطار. أخذت نفسا عميقا و اتخذت قرار اللاعودة، كل ذلك بسبب الرحلة المرعبة. بدأت بعيني أرقب وأشاهد يمنة ويسرة، وبجولة سريعة خاطفة رأيت مدى الاختلاف في الهيئة واللباس. كنت منبهرا من الفروقات في هذا المجتمع، فما هو راسخ في عقلي بين مجتمعاتنا العربية يختلف كليا. شهدت الحفاوة والاستقبال الرائع من موظفي المطار ومررت على مكتب الجوازات بيسر وسهولة ثم ذهبت مسرعا لأحمل حقيبتي وانطلقت باحثا عن طريق الخروج. فيسألني موظف ذو شعر أشقر طويل القامة هل من مشكلة. قلت لا ولكني لا أعلم كيف اخرج من هنا. قال أرجو منك الذهاب إلى الخط رقم ٤ الشريط الأخضر على الأرض «وما أدراك ما هو الخط رقم ٤» سرت على هذا الخط، انتهت الحواجز فإذا بعدد كبير اغلبهم من العرب «سعوديين تحديدا» في صف واحد ينتظرون موعدهم للدخول إلى ساحة التفتيش أو الجمارك «أو إن كان يعجبك تسميتها ساحة التحقيق». نظرتهم إليك كعدو يريد التفجير بأي لحظة، شيء مؤسف أن يكون لديهم هذا الاعتقاد، ولكن هذا الأمر الذي يقومون به هو من باب الاحتراز، وهم معذورون فيه. وربما أنهم قد بنوا هذه الفكرة نتيجة الأحداث التي تحصل في منطقة الشرق الأوسط بسبب توالي التفجيرات هناك. لن أخوض نقاشاً سياسيا يجعلني أبرر فعلهم؛ فلست من ذوي الاختصاص في هذا المجال، أرجع إلى محور الحديث. وما محور الحديث. نعم تذكرت «أنني دائما

هكذا أفقد التركيز بمجرد تطرقي إلى السياسة » جاء دوري للمسائلة؛ فتوجهت إلى طاولة التفتيش والموظف الكبير الحجم من خلفها .

– أهلا وسهلا بك أنا أسمي «جاك» سوف أسألك بعض الأسئلة هل تمانع ؟

. لا . تفضل .

– جاك: ما اسمك ؟

. عماد .

– جاك: من أين أتيت ؟

. من السعودية .

– جاك: لماذا أنت هنا تحديدا ؟

. لغرض الدراسة وهذه أوراق المعهد والقبول .

– جاك: كم المدة التي سوف تقضيها هنا ؟

. تقريبا سنة .

– جاك: هذا جيد .

. فرحت وجاءني أحساس أني نجحت في الامتحان .

– جاك: سيد عماد أريد تفتيش حقيبتك وملابسك هل تمانع ؟

. لا . على الرحب والسعة « وقلت في نفسي لم السؤال ؟! هل ستجعلني اذهب إن رفضت أم أنك سوف تقودني إلى حجرة التحقيق وتسفيري على أقرب رحلة إلى السعودية » .

– جاك: أرجو أن تخلع « الجاكيت» .

. حسنا .

– جاك: كم تملك من النقود ؟

. ألف دولار تقريبا .

– جاك: هل كل شيء في حقيبتك ملك لك . وهل قمت بترتيب حقيبتك بيدك ؟

. كل شيء هنا ملكي ونعم أنا من رتب حقيبتي .

– جاك: حسنا لا بأس ، أرجو أن تبقى بعيدا عن الحقيبة .

قام بإخراج كل ما في الحقيبة من أغراض ، ومع كل شيء يخرجه يسأل ما هذا الشيء . فأخبره « استغرب من هذه الطريقة ، وأيضا أزعجني فعله ، فقد قضيت قبل سفري يومين كاملين بصف الأغراض وهو وبكل سهولة وهدوء يخرج كل شيء منها » أخذ مني الحذاء وقال سوف آخذها للمختبر للتأكد من عدم احتوائها على فيروسات « ضحكت في داخلي من هذا الذي اسمعه » .

ذهب؛ فتحدثت مع الشخص الذي بجانبي عن التعقيد الذي يحدث هنا؛ وبينما أنا أتحدث رأيت الأخ « الفهلوي » الذي يستعرض مهارته في اللغة وبكل ثقة يجادل في موضوع « الأرجيلة » التي يريد إدخالها وهي من ضمن الممنوعات . لأنها تستخدم في الحشيش كما يقال ، أيضا يقنعه أن كراتين السجائر التي في الحقيبة لغرض الاستخدام وليست للبيع . قلت « للفهلوي » لا تحاول تستعرض عندهم رد الإجابة على قدر السؤال فهم لا يريدون الكلام غير المفيد ، أيضا لا يريدون المفاوضة والجدال « اللي يسمع كلامي يظن أني مقطع هذا المطار بالسفرات؛ ولكن هي نصائح قدمت لي قبل السفر » .

أتاني الموظف مبتهجا وتباشير الفرح تملأ محياه ، فكل شيء سليم .

– جاك: أرجو أن ترتب أغراضك سيد عماد ، ولكن عندي سؤال . هل لك صديق على متن الطائرة؟

. تعجبت من هذا السؤال ، ولكني أجبت يقينا بلا .

– جاك: حسنا سأترك لك الوقت للانتهاء من الحقيبة .

. حزمت الأمتعة وكنت جاهزا للمغادرة .

– فأراني الموظف الورقة التي قدمتها لسلمان في هونج كونج وقال هل تعرف صاحب هذه الورقة ؟

يبدو أنني سببت لنفسي مشكلة أنا في غنى عنها، أو تسببت لسلمان بمشكلة في هذه الورقة. فما حصل أثناء الرحلة المخيفة أنساني أشياء كثيرة ومن ضمنها الورقة، أجبت بنعم واعتذرت أنني نسيت ذلك وقلت أني قدمتها لهذا الشخص حتى يجد معهدا مناسبا له، ولكنني لا اعرفه شخصيا.

- أخبرني الموظف انه لا مشكلة ويمكنني الخروج فأنا حر طليق.

. «أحسست أني كنت مسجونا في ذلك الوقت، وقد تم العفو عني».

توجهت إلى بهو المطار، بعد الساعتين التي قضيتهما في الجمارك، وأنا لا أدري إلى أين سأذهب. رآني شخص كبير السن وقال: هل تريد سيارة أجرة أم ماذا تريد بالضبط. لم افهم ما يهذي به هذا الرجل؛ ولكنني قدمت له صورة التذكرة. فقال أن اذهب لأحد الموظفين، وأشار بيده إلى اليسار، سرت في الاتجاه المحدد إلى موظفة التذاكر وأطلعتها على التذكرة. قالت لابد أن تذهب إلى المطار الداخلي، فهذا المطار الدولي. لم أفهم بالضبط ماذا تقصد. فأمسكت بيدي وسحبتني إلى الخارج؛ وقالت انتظر هنا واركب «الباص» الأزرق الذي يمر كل عشر دقائق وهو سوف يقلك إلى هناك. أعجبتني الأجواء في الخارج هواء منعش ورشات المطر الخفيف تتساقط على جسدي المنهك، وما هي إلا لحظات حتى أتت الحافلة المنتظرة. رفعت حقائبي بصعوبة وسرنا إلى المطار الداخلي.

دخلت المطار، توجهت إلى الصف لقص تذكرة الصعود «البوردنق» فلما وصلت أخبرتني الموظفة أن الرحلة فآتتني منذ ساعتين. قلت وماذا يمكنني أن افعل. فقالت توجه إلى مكتب المشرفة المناوبة. ذهبت وطرقت الباب وقلت لها قصتي. قالت المشرفة آسفة لا أستطيع خدمتك فأنت متأخر كثيرا، كان لك الحق أن تسترجع أو تستبدل قيمة التذكرة بعد ساعة من الرحلة. أردت شرح أن سبب تأخري هم الجمارك. ولكن اللغة لم تسعفني كثيرا، فما وجدت طريقة لشرح ذلك إلا أن قلت: أنني الآن وصلت من المطار الدولي، وأنهم هناك في المطار اخرجوا ملابسي

وأغراضي من الحقيبة ثم أرجعتها وكان عندي مشكله بسيطة معهم. فرأيت في عيني المشرفة تجاوبا، وأظنها فهمت أخيرا ما أريد إيصاله. وقامت بتبديل تذكرتي إلى الرحلة التالية. ولكن كما هو معلوم في جميع الدول، الحمولة الزائدة ودفع مبالغ الكيلوات الزائدة.

استلمت بطاقات صعود الطائرة وتوجهت إلى بوابة الدخول. أخبرتني الموظفة أنه علي الانتظار. أثار ذلك استغرابي فقد بقيت دقيقتان على إعلان الرحلة؛ فرجعت إليها مرة أخرى. فقالت لا تبتئس؛ فبمجرد الإعلان سوف نفتح البوابة «أسررت في نفسي يا سلام على الدقة في الدقيقة والثانية، على قولة إخواننا يقطع أبو هيك نظام».

– جرس التنبيه.

لم افهم شيئا مما سمعت سوى رقم الرحلة؛ فسرت إلى البوابة ودخلت ممرا صغيرا إذا بي في مدرج المطار، بساطة متناهية وغير متكلفة. جلست في المقعد وكان الجو يميل إلى الحرارة. وبسبب أنني كنت قادما من منتصف الشتاء، وعندهم يكون منتصف الصيف، خلعت شيئا من الملابس الشتوية. لفت انتباهي أن الطائرة صغيرة جدا، ولها مراوح على الأجنحة، كان ذلك مخيفا. وقد بلغ بي الحال حد الأرق والتعب، ولكن صمدت مدة الرحلة البسيطة ساعة تقريبا. بعد ذلك فتحت عيني جيدا لأرى مدينتي الصغيرة الخضراء. سررت بروعة المنظر، وأحسست أنني سوف أعيش في مزرعة مليئة بالأغنام أو الأبقار. وأخيرا وصلنا، بسلام.

• • •

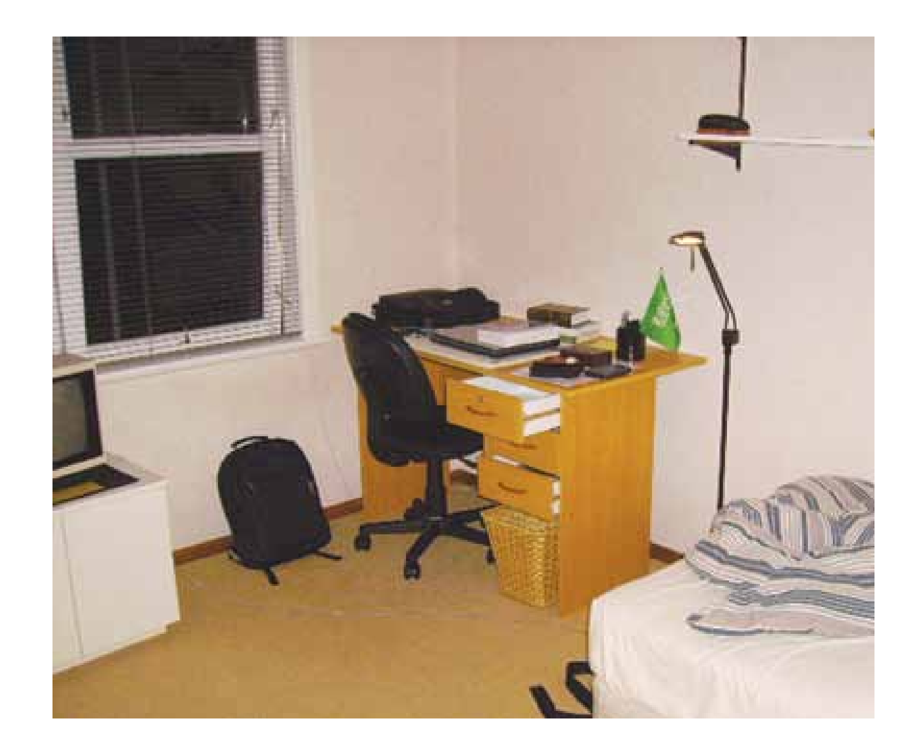
مارغ وديف



عندما نزلت في مطار المدينة الأخيرة تعجبت من بساطة تصميم المطار، وحجمه البالغ في الصغر. كنت الوحيد المختلف الملامح (شعر أسود، بشرة قمحية) والأنظار متجهة نحوي وبينما أنا في طريقي إلى الخروج، رأيت زوجين في منتصف العمر يحملان ورقة مكتوب فيها اسمي. فيناديان عماد، بنطق غير صحيح للاسم. ذهلت من وجودهم في المطار من أجلي، حتى مع تأخري بالقدوم. لم أكن أعلم أن المعهد يوفر هذه الخدمة للطلاب. شيء رائع وجميل، رغم بساطة الموضوع، فالعائلة المستضيفة يدفع لهم مبالغ مالية مقابل توفير الجو المناسب للدراسة. انتظرت وصول الحقيبتين الكبيرتين حجما، اعتذر الرجل عن مساعدتي بسبب كسر في ظهره. فحملتها رغم ثقلها الذي قصم ظهري.

الجدير بالذكر أن موضوع الاعتماد على النفس مدعوم في كل مكان. فلا يوجد عمالة للمساعدة في المطارات، من الطبيعي أن تجد عجوزا طاعنة في السن، تجر خلفها حقيبة ثقيلة. ركبت معهم في السيارة الصغيرة الحمراء وبدؤوا الحديث في شيء لم أفهمه ولكن بسبب تعبي كنت أهز رأسي « مسوي فاهم ». فقالت السيدة أنا اسمي مارغريت وهذا زوجي ديفيد. ثم عرفت أنا بنفسي. توجهنا إلى مدينة نيبيا وقالت السيدة هذه مدينة صغيرة جدا يبلغ عدد سكانها ٣٥،٠٠٠ نسمة تقريبا، تطل على المحيط. وأنا أشعر بالإنهاك، أثناء توجهنا إلى البيت ألتفت إلى اليمين وإلى اليسار وأرى روعة الأشجار الخضراء العالية، والأرض المنبسطة العشبية، حتى وصلنا المنزل. دخلت أمامي مارجريت وقادتني إلى غرفتي، للوهلة الأولى سررت من روعة الغرفة « غرفة صغيرة فيها تلفاز صغير، ومكتب للدراسة،

وألوان فاتحة تحقق الراحة النفسية، ونافذة مطلة على حديقة صغيرة » أيقنت أني محظوظ، وقد وفقت في العائلة والمنزل. ورغم بساطته إلا أنه يفي بالغرض وقد مر طيف عابر أمام عيني يحمل صورة منزلنا الإسمنتي الكبير الذي يجعلنا منعزلين عن كل شيء يمت إلى الطبيعة بصلة.



ثم أخذتني السيدة في جولة صغيرة داخل المنزل، بدءا من المطبخ المطل على الشارع وبجانبه على اليمين غرفة الطعام، والطاولة في المنتصف، والمدخنة التي تفصل بين غرفة الطعام ومجلس الضيوف، نعم، كما قلت من الوهلة الأولى

منزل أشبه بالغرف المتحركة، ولكن الجيد هو أن كل الخدمات متوفرة وحجمه مناسب جدا للأسر الصغيرة. ثم قالت السيدة يبدو أنك متعب « طبعا لم أفهم ما تتحدث عنه فالكلمة غير موجودة في قاموسي البسيط » فقلت ماذا. فقالت تريد النوم. فهمت قصدها وقلت نعم، تركتني أذهب إلى غرفتي فاستلقيت على فراشي بملابس السفر وغرقت في النوم مباشرة.

وقعت من السرير إلى الأرض، في منتصف الليل الساعة الحادية عشر تقريبا لا أكاد أسمع أية حركة أو صوت. ترددت في النهوض من الفراش خوفا من إزعاج العائلة، مكثت صامتا فترة طويلة من الوقت، حاولت النوم، بلا فائدة. ثم قلت من الأفضل أن أنتظر بزوغ الفجر، أثناء ذلك مر شريط الذكريات أمام عيني حتى مللت من تكراره فلدي رغبة كبيرة في التحرر من الماضي والتفكير فقط فيما أنا فيه. طالت علي الثواني وأنا أريد النهوض وتغيير ملابسي والذهاب إلى دورة المياه للوضوء وقضاء ما فاتني من صلوات. أسررت في نفسي ما هذه الحياة ولماذا أنا أعذب نفسي من أجل هؤلاء « وقد حذرت من قبل المكتب أن لا أزعج العائلة المضيفة ».

وفي الساعة الثالثة فجرا بدا لي حراك مخيف جعلني أفيق من غفلتي، وازدادت الحركة؛ فخرج شخص خارج البيت. قلت ما هذا الصوت في هذا الوقت المتأخر، ثم تبادر إلى ذهني أن هذا أحد يريد سرقة البيت. ثم سمعت صوت رجلين يتحادثان في الخارج، جلست انتظر حتى نهاية الحديث. ومضى وقت يسير بعد ذلك فقلت يبدو أن الوقت الآن مناسب للخروج من غرفتي. خرجت وتوضأت ثم رجعت وبدلت ملابسي ثم انتهيت من صلواتي المتراكمة، فبدأ النور يأتي عبر النافذة. ولكن مازال الوقت مبكرا وبقيت قرابة الأربع ساعات على بداية الدوام. خرجت مرة أخرى من غرفتي أرقب المكان فرأيت السيدة تشاهد برنامجا رياضيا في التلفاز وتطبق ما تشاهده، فقلت مستغربا سيدة في منتصف العمر وتمارين صباح!!.

«الله يذكر المدرب صالح العريض بالخير» لم اعتد على مثل ذلك . عدت إلى الغرفة وفتحت التلفاز الصغير لأرى ماذا يوجد من قنوات وأنا جائع بدرجة لا أستطيع تحملها ، حتى أتت السيدة وطرقت الباب بهدوء ونادتني باسمي فخرجت إليها . ألقت التحية وقالت صباح الخير كيف حالك اليوم . قلت لا بأس . قالت أمس حضرنا لك العشاء ولكن خشينا أن نوقظك فأنت متعب كثيرا . أومأت برأسي فاهما بعض ما تقول . ثم قادتني إلى المطبخ لتريني عشاء الأمس فلما رأيت العشاء « مكرونة سبكتي مع اللحم » تبادر إلى ذهني أن أرضيها وذلك لتعبها ليلة أمس من أجلي فقلت سوف أتناول ما قمت بإعداده لي . قالت لست مجبرا على ذلك . قلت بلا سوف آكله . بينما أنا مستمر في الأكل دخل رجل في الأربعينيات من عمره فضحك بمجرد أن رآني ، وقال «سبكتي على الصبح» أنت الطالب الجديد . قلت نعم ، ومن أنت . قال أنا ابنهم الكبير دان . بعد أن فرغت من تناول الفطور قادتني السيدة مارغريت إلى المطبخ مرة أخرى لتعطيني الدرس الأول وهو أن أغسل الصحن الذي تناولت به الأكل ، ووضعه في ماكينة غسيل الأطباق . ثم ذهبنا إلى المجلس لتريني صور أحفادها ، فهي لها ولد وثلاث بنات وكلهم متزوجون ، ولهم أولاد . أتى السيد ديفيد من الخارج وجلس معنا على طاولة الطعام ، بدأت مارجريت بالحديث عن نفسها اعمل في مكتب حكومي وأحب القراءة وغزل الصوف والرياضة «رياضة ! » . وأخبرني ديفيد أنه يعمل في وظيفة ليلة في صيانة سكة الحديد ، ويحب ركوب الدراجات الهوائية ، وترتيب الحديقة « دراجة؟ » .

هيا هل أنت جاهز للذهاب إلى المعهد وقال أنا فقط سوف أدلك على المعهد الآن والأيام الأخرى سوف تأتي مشياً على الأقدام « البنزين غالي » فقلت لا بأس وكانت السيدة معنا وهي تعمل في المبنى المجاور للمعهد .

• • •

هذا الموقف البسيط « تناول الوجبة » أعطى السيدة انطباعاً جيداً عني وأنني أقدر وأحترم كل ما يقومون به من أجلي . وسعدت بمعرفة الابن دان كان رجلا عمليا وبارا بوالديه فهو دائم الزيارة لهما ، وهذا شيء غير معتاد في مجتمع غربي .

• • •

أول أسبوع



دخلت إلى المعهد واستقبلتني السكرتيرة بالترحيب. وقالت أرجوك أعطني القبول وقم بتعبئة هذا النموذج.

– سألتني عن شيء لم أفهمه. ومن حسن الحظ أن بجانبي شخص سعودي. صافحته وتعرفت على اسمه حامد.

. قلت له ماذا تقول السكرتيرة ؟

– قال: تريد منك دفع التأمين الطبي.

. فأخبرتها أني دفعت ذلك في السعودية.

– فقالت: لا مشكلة سوف أتواصل مع المكتب في السعودية. شكرا.

توجهت إلى الصالة الرئيسة إذ بالمكان يعج بالطلاب المختلفي الألوان والأشكال. اخترت واحدا من المقاعد، وجلست بجانب مجموعة سويسرية، وبدأت التعرف إلى أسمائهم. بعد لحظات أتت مدرسة نحوي في منتصف العمر طويلة وشقراء. وقالت عماد أرجوك اتبعني فقمت وسرت خلفها واتجهنا إلى احد الفصول. بادرت بسؤالي بعض الأسئلة العامة، حتى تقيس وتحدد مستواي في اللغة الانجليزية وانتهت المقابلة بسلام. أتاني شعور مريح حيث أنها كانت متعاونة وشخصيتها رائعة جدا ثم عدت بعد ذلك إلى الصالة الرئيسة. فحضرت المشرفة على المعهد ووجهتنا إلى مكان اختبار تحديد المستوى، أنا لم افهم شيئا مما قالت ولكن بعد أن تحرك الطلاب إلى القاعة تبعتهم. وزعت علينا أوراق الاختبار وقامت بإيضاح القوانين وطريقة الاختبار. أدير المسجل وبدأ اختبار الاستماع، وأنا لا أدري من أين أبدأ. أخبرني طالب بجانبي أن الاختبار يبدأ من هنا. بدأت

بالحل وأحسست بحيرة وتيه الله أعلم فيه. وأخيرا انتهى الاختبار. لم أوفق في الاختبار، وأساسا أنا أريد البداية من المستوى الأول؛ ولكن ما مر بي من رهبة شيء لا يستغرب عند دخولي أي اختبار.



قامت السكرتيرة «كيسي» بجمعنا خارج المعهد، وتعريفنا بأهم المحلات في مركز المدينة واتجاهات الطرق الرئيسة، والمكتبة العامة، ومكتب الشرطة. ثم سرنا حتى وصلنا إلى الواجهة الساحرة للمدينة على المحيط، ثم أشارت بيدها نحو مقهى في أحد الزوايا وقالت سوف نجتمع هنا بعد نهاية الدوام لنتعرف على الطلاب الجدد ونقدم واجب الضيافة. عدنا إلى المعهد فأخبرونا أننا نستطيع الذهاب لفترة الغداء، فاتفقنا نحن السعوديون أنا وحامد وسمير أن نذهب سويا إلى مطعم

«ماكدونالدز شيء تعرفه ولا شيء تجهله» في المركز التجاري خلف المعهد طلبنا وجباتنا وجلسنا في إحدى الطاولات ، بدأت أنا الحديث فسألت سميرا ماذا تعمل في السعودية؟ وما هي المدة التي سوف تقضيها هنا ؟

– فأجاب: أنا مدير في مجمع مدارس أهلية ، في مدينة قريبة من الرياض ، وسوف أدرس لمدة ثلاثة أشهر . ماذا عنك؟

. أخبرته بأنني أعمل في مؤسسة عائلية وقد نصحني وحثني والدي العزيز على القدوم إلى هنا ولفترة تزيد عن السنة؛ حتى أتقن اللغة . ثم قلت جاء دورك؛ حامد .

– فقال: أنا مهندس في شركة سعودية فرنسية أتيت للدراسة لمدة ثلاثة أشهر أو أكثر بقليل لتطوير لغتي .

كانت أعمارهم في أوائل الثلاثينيات أما أنا فما زلت في بحر العشرينيات . أصبح حامد «أبو العريف» فينا لتفوقه اللغوي بالنسبة لي ولسمير ، فرغنا من غدائنا وحديثنا وبعد ذلك اتفقنا وتعاهدنا على الوفاء بالقسم وفق قانون أساسي للعلاقة فيما بيننا ، بذكر القسم جاء في مخيلتي القسم الذي يؤديه الضباط عند تخرجهم ، والذي لا يتعدى عند البعض كونه كلاما يطير في الهواء دونما وعي أو تعقّل؛ لكن الأكثرية «فيهم البركة» فهو يكون محسوسا ومطبقا بضع سنين . أتدري ما فحوى هذا الوعد الذي قطعناه ، لا داعي لذلك فأنت تعرفه أو يعرفه كل من يسافر إلى الخارج لتعلم اللغة ، فربما وعدت أنت نفسك يا من تقرأ هذه السطور .

نص القانون «أن لا نتحادث فيما بيننا باللغة العربية إلا للضرورة القصوى؛ فنحن قد دفعنا مبالغ طائلة لكي نأتي إلى هنا ، ونتقن هذه اللغة التي نحن بحاجة إليها في مستقبلنا» .

بعد معاهدة طويق« أي طويق وأي نيله يابيه » عجزت عن ترك الدخول في السياسة حتى في الذكريات . نعم بعد تلك الاتفاقية عدنا إلى المعهد لنرى (التقسيمة)

الجديدة « الأخ مضيع من سياسة لكوره على طول» ما هذه الفوضى التي أعيش فيها وبين قوسين أرجو أن لا يعتب علي العرب الذين هم مهتمون بهذا الثنائي المتكامل أو المتفاضل ، لا أدري ولكن المسألة معادلات في معادلات ، تم وضعي أنا وسمير معا في المستوى الأول لمدة أسبوع حتى يتم تهيئتنا للمستوى الثاني ، أما حامد في المستوى الثالث . دخلنا في فصولنا الدراسية لنبدأ الدراسة واستهل اللقاء الأول ، وبدأت الأستاذة التي كانت معي في المقابلة الشخصية في التعريف بنفسها قالت أنا « جولي » سوف أقوم بتدريسكم الأسبوع الأول ، وأنا عادة أدرس المستويات العليا ولكنها فرصة جيدة للالتقاء بكم كطلاب جدد كان عددنا عشرة؛ اثنان من السعودية والبقية من اليابان طلاب ثانوية أعمارهم ست عشرة سنة تقريباً ، والأشباه واحدة كما هو معروف ، ما عدا واحدا منهم كان كبير الحجم وملابسه متميزة؛ فهو من محبي ملابس «الهيب هوب» قدم هؤلاء الطلاب للدراسة لمدة شهر حتى ينتقلوا إلى المدارس النيوزيلندية تحت نظام مبادلة الطلاب حسب الاتفاقيات التجارية والتعليمية بين البلدين . إنني لا أذكر مقدار التعب الذي أحسست به في الدرس الأول؛ فما زلت غير معتاد على الغربة بعد ، وحيث أن السيدة جولي كانت متمكنة في مهنتها وقد أعطتني دفعة معنوية ، وسعت جاهدة في تبسيط الدرس لي ، أما ما يخص الطلاب اليابانيين فالحقيقة لم افهم شيئا من تأتأتهم وأسلوبهم الغريب في المحادثة . ختمت جولي ذلك اليوم بوصف مدى سعادتها في تعليمنا ، وأنها سوف تبذل كل ما تستطيع من أجل تقديم الفائدة . مكثنا في الفصل أنا وسمير نتناقش حول الدرس والمدرسة ، ثم خرجنا وقابلنا حامدا و ذهبنا إلى موعد الاجتماع؛ حسب ما أفادتنا السكرتيرة كيسي ، كانت في انتظار الطلاب ، انطلقنا نحو المقهى ودخلنا ثم جلسنا في المكان المحدد . رحبت بنا كيسي: أهلاً وسهلاً أصدقائنا الطلاب في مدينة نيبيا يتشرف معهد « نيوهورايزون» باستضافتكم وتقديم مشروب لكل طالب حسب اختياركم وأي مشروب لا يعني المشروبات الروحية ،

فنحن لا نساهم في تسويق هذا النوع من المنتجات ، ولكن ما أقصده أي شيء دون ذلك .



بصراحة لا أذكر ما هو المشروب الذي وقع عليه اختياري ، ولكن لا يخرج هذا الطلب بأية حال من الأحوال عن الشاي أو « الشوكولاته » الساخنة إلا أنني أُرجّح مشروبي المفضل الشاي .

– بدأت السكرتيرة بالتعريف بنفسها أكثر ، وعن تفاصيل حياتها وقالت أنها من السكان الأصليين « الماوريين» وعن حالتها الاجتماعية وهواياتها . ثم تركت كل طالب يتحدث عن نفسه ، فبدأت الأسئلة تترامى هنا وهناك والجميع كان متحمساً لمعرفة الآخر . جاء دوري ولغتي كما تعلمون «وسع صدرك» وأنا أتحدث كانت أحداث الرعب التي واجهتها في الطيارة تمر أمام عيني لتجعلني أستبعد فكرة عودتي إلى الديار ، كان الحديث ممتعا « بعد ترجمة سمير » .

انتهى الاجتماع وبدأ الطلاب يتفرقون؛ فعدت مسرعا إلى المعهد؛ لأن السيد ديفيد سوف يأتي ويأخذني حسب الاتفاق. رأيته جالسا في سيارته ينتظر؛ فأتيت نحوه مسرعا، وألقيت عليه التحية.

– سألني عن شعوري في أول يوم دراسي.

. فقلت له أنه كان يوما مشوقا، بعد لحظات أتت إلينا السيدة مارغريت خارجة من العمل.

– مارغريت :أهلا عماد. كيف حالك؟

. أهلا مارغريت.

– ديفيد: حسنا عماد الآن سوف نذهب في جولة حول المدينة لتتعرف على الطرق الرئيسة والأماكن الجيدة؛ لقضاء أوقات الفراغ.





مررنا بجانب المرفأ البحري وأخبراني أن المطاعم هنا جيدة جدا، وتعتبر مرتعا للشباب خصوصا في نهاية الأسبوع، وأنها تتحول إلى ملاه ليلية إذا كان ذلك يعجبك. ثم اتجهنا إلى الواجهة البحرية الأخرى للمدينة، والقريبة من مركز المدينة، وأطلعوني على النادي الرياضي وعدد من الأماكن الأخرى ثم عدنا إلى المنزل.



خلدت إلى الراحة بعد أول يوم دراسي حيث إنني ما زلت أعاني من أرق السفر، وتغير الساعة الزمنية. فلما أتى وقت العشاء «كانت الشمس لا تغيب إلا الساعة التاسعة والنصف» طرقت السيدة باب الغرفة وقد أنهت تحضير الوجبة. على الطاولة طبق وشوكة وسكين لكل فرد وطبق رئيس يحوي خضارا مع دجاج برائحة البهار الجذابة، وطبق أساسي سلطة خضراء وطبق صغير يحتوي على الأرز. أخبرتهم أن يبدؤا في تعبئة أطباقهم لأنهم أكبر سنا، ثم قمت بوضع بعض الأكل في طبقي وبدأت (بسم الله) أكلت، ثم أكلت، ثم أكلت حتى آخر قطرة، وحمدت الله على ما أنعم علي، ثم شكرت السيدة على هذه الوجبة اللذيذة. مكثنا نتحدث قليلا وقامت السيدة بتعليمي بعض الكلمات البسيطة ثم استأذنت للذهاب، حيث أنني متعب وسقطت على فراشي كالمغشي عليه.

الاجتماع في المقهى كسر الحاجز الرسمي بيننا كطلاب وبين المدرسين؛ فأصبحنا منذ تلك اللحظات نشعر أننا عائلة واحدة، وقد سنحت لنا تلك الفرصة باكتساب الكثير من الأصدقاء من سويسرا وألمانيا وايطاليا وكوريا واليابان والبرازيل والتشيك وغيرها من الدول. وهذا الأمر شيء اعتاد المعهد على تكراره كل أثنين، بجمع الطلاب للتعريف بأنفسهم، وعن حياتهم، وعن طموحاتهم ومخططاتهم، أثناء تواجدهم في نيوزيلندا أو في المستقبل بعد انتهاء فترة الدراسة. والجولة أيضا كانت ممتعة جدا برفقة هذه الأسرة الرائعة، وما أروع السيدة مارغريت فهي بارعة في تحضير الأكل.

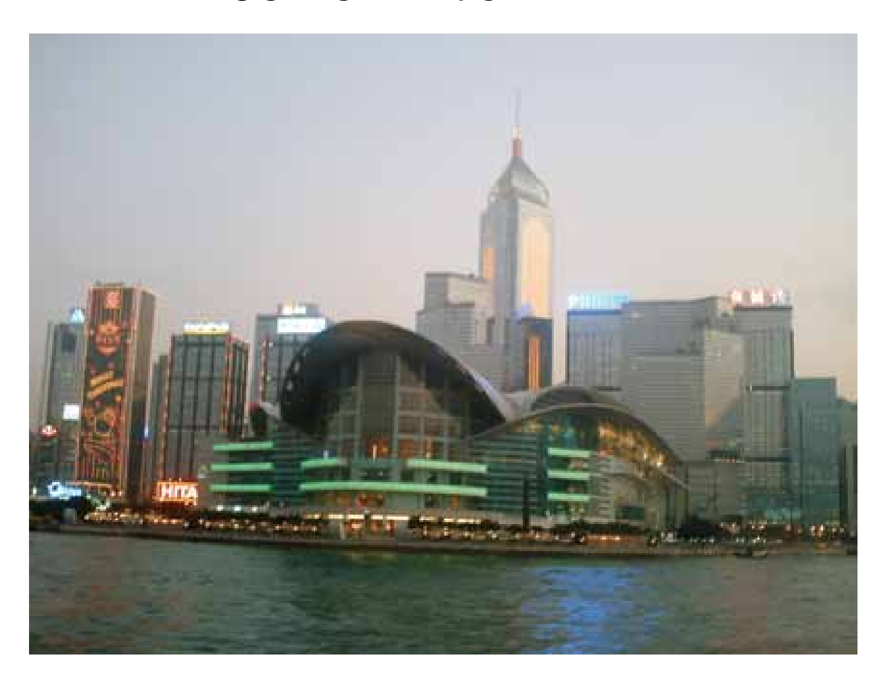
لم يختلف اليوم التالي كثيرا عن سابقه، سوى وقت العشاء، وقد أخبرت العائلة أنني سوف أغسل جميع الأطباق بما أن السيدة حضرت وجبة لذيذة، ذهلوا من كوني بدأت التأقلم مع حياتهم بسرعة وأصبحت مندمجا أكثر؛ حتى أني اعتبرت نفسي واحدا من أبنائهم، وصرت أنادي السيدة «مام». مرت الأيام والأسبوع الأول أعلن الختام؛ فنحن في يوم الجمعة، أخبرتنا مديرة المعهد أن علينا الاجتماع في الصالة الرئيسة لتوديع المتخرجين وتقديم شهادات الشكر وهذا الحفل الذي يزيد من التلاحم بين أفراد المعهد، كنت استمع لهم وهم يتكلمون، وعجزت عن فهم شيء من كلامهم، ولكن كانت أعينهم تترجم مشاعرهم في توديع الطلاب الذين قضوا فترة من الزمن في هذا المعهد، وبعض المعلمين عجزوا عن أن يحبسوا دموعهم في هذا الوداع. لما انتهى اجتماع التخريج أتت إلينا السكرتيرة كيسي نحن السعوديون ونوهت أنه يمكننا الخروج لأداء صلاة الجمعة وأن هنالك مسجدا في المدينة المجاورة «هيستنقز» يستغرق الذهاب قرابة النصف ساعة وأخبرتنا عن رقم الحافلة الذي يقلنا إلى هناك. خرجنا وتوجهنا إلى موقف الحافلات المجاور للمعهد وركبنا الحافلة فانطلق بنا في أرض نيوزيلندا الخضراء من طريق مدينة «ترادايل». استمتعنا بهذه الرحلة القصيرة ونحن نتوقف كل لحظة

حتى يركب أهل المدينة أغلبهم من كبار السن و الخدمة تعتبر رائعة جدا ومريحة « سلم لي على تويبسات خط البلدة » . نزلنا في وسط البلدة وسئلنا عن مكان المسجد ، بحثنا سرنا فتشنا ولكن دون جدوى لم نفلح في هذا المشوار فاتفقنا «أنا وحامد وسمير» أن نأكل في أحد المطاعم وبينما نحن نسير ، إذا بنا نرى مطعما تركيا على اليسار وبائعا صاحب ملامح شرق أوسطية . استغربنا من وجود المطعم في هذه البلدة الصغيرة ونسينا أننا في عصر القرية الصغيرة . دخلنا واستفسرنا عن نوع الأكل وهل هو حلال ، فاستقبلنا صاحب المطعم بالسلام فوقعت أنظارنا على « الشاورماء » طلبنا الساندويتشات ومن شدة الجوع زدنا الكمية أكثر من ما نريد . فقال لنا صاحب المحل هذا كثير عليكم . ولكننا لم نقتنع بكلامه ، جلسنا ننتظر حتى أتانا الأكل والمشروبات ، ثم قررنا الرحيل والعودة إلى مدينتنا .

(لا تسألوني عن نكث الاتفاقية فما زلنا في البداية)

• • •

حامد ورحلة الوصول



أقدمت على هذه الخطوة بعد تصفح أحد المواقع المهتمة بالسفر والدراسة. قرأت كثيرا عن نيوزيلندا وها أنا في طريقي إلى هذه البلاد عبر هونج كونج رتبت رحلتي ليتسنى لي المكوث فيها بعض الوقت. وقمت بالتجول في أهم الأماكن، وزرت عدة أسواق، وركبت في قارب، واستمتعت برحلة بحرية فيها. شاهدت الأبراج العظيمة على طرف البحر والطرق العملاقة. فعلا شيء مثير ويفوق ما يمكن تخيله حيث أنك ربما لا ترى قطعة أرض فارغة؛ فالمباني تملأ المكان وكل شبر مستغل.

أكملت رحلتي المتجهة إلى أوكلاند وقد تمت بيسر وسهولة، ثم جلست ليلة في أوكلاند انطلقت بعدها راكبا في حافلة إلى نيبيا، كنت أرغب في مشاهدة الأرض الخضراء التي سمعت عنها. لا أنكر أن الرحلة القصيرة كانت متعبة وكان يغلب علي الأرق، بسبب الرحلات السابقة والطيران. لكن حققت رغبتي ورأيت الجبال والأنهار والمروج الخضراء، نعم، كانت الطرق صغيرة ووعرة جدا، تارة صعودا لأعالي الجبال وأخرى نزولا عبر المنحدرات. استغرقت الرحلة قرابة الست ساعات ثم وصلت أخيرا إلى وسط المدينة، وركبت سيارة الأجرة حتى وصلت منزل العائلة المضيفة. طرقت الباب فقدم رجل كبير السن واستقبلني عند الباب وقلت له إنني الطالب الجديد. أخذ يتكلم معي ولكن كانت لهجته غريبة فلم اقدر على استيعاب كلامه، ولكني فهمت أنه يرحب ويدعوني إلى الدخول. أخذني إلى حيث غرفتي ثم نمت نوما عميقا حتى صباح اليوم التالي. أفقت من النوم وخرجت إلى المطبخ فقابلتني سيدة بدا لي من هيئتها إنها من الهند. فقالت

أنها كانت في عملها أثناء قدومي بالأمس . سيدة لطيفة جهزت لي وجبة الإفطار وتبادلنا الحديث في أمور عدة ثم أخذتني إلى المعهد . لم يكن هدفي التعلم فقط ولكن الأولوية عندي للسياحة قابلت الشباب السعوديين وصرنا مجموعة رائعة متكاملة ومتعاونة في وجه كل الصعوبات التي واجهتنا في هذا المكان ، كانت السيدة مهتمة كثيرا ، وساعدتني في شرح بعض الدروس . بلغت قمة راحتي في هذا المكان ، ولا أريد تفويت أية فرصة للتنقل في كل أطرافه . كنت اخرج في كل الأوقات؛ حيث إنه لم يصادفني نهاية أسبوع وأنا جالس في المنزل أو أن مرات جلوسي تعد على الأصابع ، كنت مفتونا بالقطع القديمة ، لم أترك محلا في المدينة أو حولها إلا زرته وفرزت ما فيه من أثريات .



حمّام الشمس الحارق



ما أجمل الذكريات تعيد أمتع اللحظات، وأقساها في لقطات سريعة تمر أمام الإنسان بسرعة قصوى، بأجزاء الثانية تتحدى أسرع المخترعات. كانت السيدة مارغريت خير محفز في تعلم مهارة الاستماع إلى اللغة، وكانت متأنية في الحديث، ولا تتوانى في الإعادة بصياغة أسهل؛ حتى أفهم كل ما قالت. معروف عن سكان نيوزيلندا أنهم بعيدون عن المشاكل السياسية، ولا يوجد هناك عنصرية ضد أي صنف، وإن كان هناك متحيزين فهم قلة.

أعود إلى العائلة وأنا في قمة الإنهاك، رحلة مرهقة تخللت المشي لوقت طويل ولم نعتد على ذلك في ديارنا. ألقيت التحية على العائلة وأخبرتهم بشكل سريع عن أبرز الأحداث التي واجهتنا في رحلتنا القصيرة وعن المطعم التركي، ثم ذهبت إلى غرفتي لنيل قسط من الراحة. بعد مدة من الزمن استيقظت على الطرق الخجول المعتاد من السيدة مارغريت وأخبرتني أن العشاء جاهز. خرجت وتوجهت إلى المطبخ لمساعدتها في نقل الأغراض إلى طاولة الطعام وجلسنا. بدأت السيدة بالكلام تسألني بعض الأسئلة كالانطباع عن الأسبوع الأول، وصعوبة الدراسة. فقلت لها بداية تدعو إلى الحماس والبهجة. فرغنا من الأكل وجلسنا في غرفة التلفاز نتابع الأخبار أنا والسيد ديفيد وذهبت مارغريت لإحضار القهوة. شربناها وتناقشنا في عدة مواضيع من ضمنها أنني جعلتهم يشاهدون مقطع شنق صدام، وتعجبوا من هذا الفعل الشنيع. استأذنتهم للذهاب إلى غرفتي وقمت بمكالمة والدي وأهلي حتى أطمئن على الجميع، وأخبرهم أني بحالة جيدة ومستقر نفسيا، وأن العائلة التي اسكن معهم رائعين جدا. استلقيت على فراشي وجلست أتأمل حالي وأعيش المتعة التي بدأت أشعر فيها تدريجيا مع كل يوم يمر في هذا البلد الجميل.



في صباح اليوم التالي استيقظت وأنا في قمة النشاط والسرور. خرجت من الغرفة وسرت نحو المطبخ وأعددت لنفسي الإفطار الخفيف، ثم خرجت أتجول في الشارع الذي حول البيت واكتشف بعض الأماكن الجديدة.

عدت إلى البيت واخبرني السيد ديفيد أنه يوجد عندهم دراجة قديمة لفتاة كانت تسكن معهم في السابق ويمكنني أن استخدمها للتنقل في المدينة «لم أدرك ما الفرق بين دراجة الفتيات والشباب» أعجبتني الفكرة حيث أنني قمت بالبحث عن دراجة في السابق ولكن أسعارها كانت خيالية، حتى إن سعر إحدى الدراجات أغلى من السيارات المستعملة. وهذا ربما يعود إلى كثرة مستخدمي الدراجات وأيضا مواصفات الدراجة. قبلت بلا تردد وأخذت الدراجة وجهزت حقيبتي ببعض

الفاكهة والماء ثم انطلقت لرؤية المرفأ البحري في المدينة. بدأت قيادة الدراجة بحذر لبست «الخوذة» على رأسي وأنا اضحك من شكلي وتذكرت الأطفال وهم يركبونها في بلدي. أدركت خطورة السير في الشارع بالدراجة، وما زاد الأمر رهبة أن اتجاه القيادة عكس ما كنت معتادا عليه. فتارة انزل وأسير على أقدامي وتارة أخرى أركب الدراجة وأكثر شيء كان يخيفني تجاوز الشاحنات.



وصلت بسلام إلى المرفأ الساحر وتجولت فيه وأنا في قمة دهشتي من منظر المراكب الشراعية و الغيوم المتراكمة، والقريبة من الأرض. فجلست في نهايته أستشعر الرياح وأتأمل حركة المراكب وصوت الناس من حولي، والكل يبدو عليه الاستمتاع بهذه

الأجواء الدافئة، وصوت الموج وهو يضرب على اليابسة. الأطفال عن يميني يلعبون، ويمرحون مع أهلهم وعن يساري بعض المراهقين يقومون بالقفز من فوق المراكب إلى الماء، وخلفي المطاعم والمقاهي الفخمة، ركبت الدراجة لأكمل المشوار واستكشف الأطراف الأخرى، وفي مكان ليس ببعيد عن مرفأ السفن؛ شاطئ صغير فيه أناس متفرقون. كل شخصين أو عائلة في جهة والبعض مستلق على الرمال ، وآخرون يطعمون أولادهم من البوظة. رأيت شابا يقرأ كتابا، ورجلا كبيرا يلعب مع كلبه ويرمي له كرات الإسفنج في البحر والكلب يجري مسرعا لالتقاطها. قررت أخذ حمام شمسي فقد اشتقت إلى الدفء. بدا لي أن الشمس رائعة والجوّ مذهلا، أنزلت حقيبتي وأخرجت الفاكهة وتناولتها وشرعت بعرض الصور في الجوال وبعض المقاطع. ثم لبست ملابس السباحة ونزلت إلى شاطئ المحيط اعتقدت أني ذلك السباح الماهر الذي لا يخشى أمواج المحيط، وما هي إلا لحظات وإذا بالماء يجرني وكأنه مشتاق لاصطحابي في جولة إلى الأعماق. ربما لاكتشاف كنوزه التي لم يتوصل إليها مخلوق أو كائن حي ، لم أدرك مدى الخطورة بعد ولكن يبدو أن موجة قوية دفعتني قليلا نحو الشاطئ ثم أعادتني بعيدا عن الأنظار. ولمعرفتي بمدى مقدرتي على السباحة غوصا بدأت بتحريك أطرافي بسرعة وبدأ يتسلل الخوف في داخلي والقلب بدأ يخفق مسرعا. والأنفاس بدأت تضيق ، فتحت عيني لأشعر بحرارة شديدة لا أكاد أرى شيئا. فانجذبت رجلي نحو شجيرات مائية، وعلقت فيها ثم أرسلت إلى عقلي إشارة تنبيه شديدة اللهجة تقول نجوت من الموت في السماء، ولكنك ستموت في أحضان المحيط كرهت نفسي والغربة وما قادني إليها. ثم تلاشت تلك الأفكار السوداوية، بلحظة، وقلت لم يحن بعد أجلي،



حركت رجلي بأسرع ما يمكن بشكل دائري فأدركت تلك النباتات عبر الإشارات العصبية أنها غير مرغوب فيها وأبعدت ورقاتها وأغصانها عني بعد موجة أخرى. أسرعت بعودتي إلى السطح وسبحت بكل ما أوتيت من قوة نحو الشاطئ حتى وصلت بسلام، أخذت نفسا عميقا. لم يعلم الناس من حولي ما جرى لي، بدا ذلك من حركاتهم وإيماءاتهم، سرت نحو مكاني ثم استلقيت وعضلاتي تنبض بقوة. كان الرمل أشد حرارة مما توقعت أحسست أن الشمس قد أحرقت وجهي وأطرافي. فحملت أشيائي ورجعت إلى البيت، اتجهت إلى المرآة إذا بوجهي أصبح محمرا من حرارة الشمس. ثم دخلت غرفتي وسقطت على الفراش وعضلاتي مشدودة ولياقتي لم تخدمني في هذه المرة.

لم تكن خبرتي جيدة في استخدام الكريمات الخاصة لتجنب أشعة الشمس . ثم إن نيوزيلندا تقع قريبة من ثقب الأوزون وهذا بدوره مضر جدا بالجلد ، عرفت ذلك لاحقا . بعد أن أصبح لونا وجهي وأطرافي داكنين لمدة أسبوع ، وقد سببت الحرارة حكة في الجلد .

• • •

اندماج مع الاغتراب



اليوم هو يوم الاثنين بداية الأسبوع الثاني استيقظت مبكرا كالعادة وأعددت الإفطار. ثم حزمت حقيبتي المدرسية وخرجت إلى المستودع لأمتطي فرسي الجديدة، أقصد دراجتي لبست « الخوذة » وأنا أشعر بشيء مختلف نعم سوف أذهب إلى المعهد بالدراجة. كان في طريقي قليل من الازدحام الذي لا يقارن إطلاقا بالمدن الكبيرة. كلما واجهتني صعوبة أو زحام نزلت من الدراجة وسرت على رصيف المشاة وصلت إلى المعهد وركنت الدراجة في المكان المخصص لها وربطتها بالقفل. دخلت المعهد وألقيت التحية على كيسي ثم سرت إلى الصالة الرئيسة أعددت كوبا من القهوة وجلست في إحدى الكراسي. بدأ يجتمع الطلاب حتى جاءت مديرة المعهد « كريستين » المرحة. وقالت أهلا بكم من جديد حصل عدة تغييرات في المعهد. غادرت مجموعة وقدمت مجموعة جديدة وأعيد ترتيب المستويات وأعلنت الأسماء والترتيبات الجديدة. ثم انتقلنا إلى المستوى الجديد مع المعلمة «كيت» كما تحب أن نسميها ، استغربت من ردود أفعال الطلاب اليابانيين وطريقة استجاباتهم للمعلومات الجديدة وأسلوبهم في الدهشة بأصوات غريبة. ورغم صغر سنهم إلا أنهم متفوقون علينا بمراحل متعددة، في رصيد الكلمات، وفي سرعة الكتابة، ولكن نحن نتفوق عليهم بالمحادثة والاستماع. انتهينا من الدراسة لهذا اليوم وتوجهنا إلى المقهى للترحيب بالطلاب الجدد كان الجو مليئا بالمتعة وبدأنا نشعر بتقاربنا كطلاب أكثر من الأسبوع الأول.

ما لاحظته أنا وحامد أن أغلبية القادمين من أوروبا يأتون كمجموعات ليستفيدوا من خصم المعهد وقد استغلوا القدوم في السياحة أيضا، حيث أنها أرخص بكثير

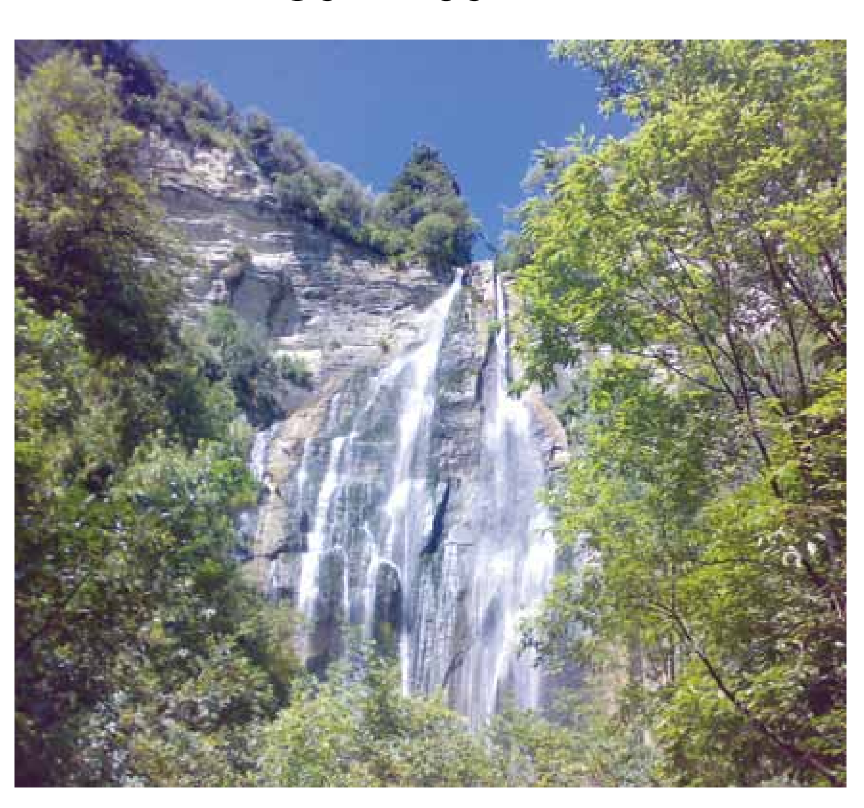
من ديارهم. اقترح أحد الطلاب من سويسرا تغيير المقهى. وافق بعضنا والبعض الآخر غادروا إلى بيوتهم، سمير قرر المغادرة وأنا وحامد رافقنا البقية. بدأ الطلاب يطلبون مشروباتهم وأنا وحامد نتفرج عليهم ثم طلبنا كوبين من الشاي. بدأت التعليقات بين الطلاب وأنا وحامد نضحك على الجميع؛ فقد بدأ تأثير الكحول على عقولهم وغاب الحياء. صاروا يتحدثون بصراحة في أي شيء يتبادر إلى أذهانهم، لم يعجبنا ما هم عليه فخرجنا بطاولة مستقلة في الخارج. كنا نتفرج على المارة والمراهقين يأتون ويرمون بالتعليقات علينا فهم لا يستطيعون الدخول؛ فلم يصلوا إلى العمر القانوني. قلت لحامد هيا لنذهب، سرنا نحو منزل حامد ودخلت وصافحت العائلة. وأراني غرفته وبيته ثم ركبت دراجتي وعدت إلى البيت.

قدم يوم الجمعة وتم تخريج دفعة من الطلاب، وهذا الأسبوع أصبحت افهم بعض ما يقولون، ليس جميع الكلمات ولكن مجمل الحديث. غادرت وركبت دراجتي وتوجهت إلى المنزل أخذت قسطا من الراحة. ثم خرجت إلى غرفة الطعام وجدت السيد ديفيد جالسا قال ما رأيك أن نعد العشاء فمارغريت خرجت هي وصاحبتها لجولة رياضية وربما تتأخر. أعجبتني الفكرة وذهبنا إلى المطبخ قال سوف نجهز «السجق» و البطاطس المهروسة وأوكل إلي تقشير البطاطس. وقام هو بسلق السجق وأخبرني أن هذا السجق بقري حتى لا يعتريني شك في الأكل. أكمل تسخين «الباربكيو» ثم قام بوضع البطاطس في إناء لسلقه في الماء والملح، ثم أخرجها وقام بهرسها وسكب عليها القليل من الحليب والزبد، في هذه الأثناء أخذت طبقين فوضعتهما على طاولة الطعام. أتى السيد ديفيد بالطعام. جلسنا نتسلى ونتحدث في بعض الأمور ونأكل من هذا الطبق الخفيف، فلما انتهينا من الأكل قمت بغسل الأطباق وأعددت القهوة لي وللسيد، وجلسنا في المجلس نتابع التلفاز والأخبار اليومية. استأذنت من ديفيد للخروج والمشي في الحديقة المجاورة، خرجت إلى الحديقة وأنا أغمض عيني لاستشعر النسيم المنعش وأصوات

الأشجار وهي تتحرك وتتراقص مع تغريد العصافير، سرت فيها حتى وصلت نهايتها في الطرف الآخر، ثم رجعت مهرولا ومكثت أدور في الحديقة ذهابا وإيابا، حتى أرعبني نباح كلب قدم نحوي مسرعا، وأنا لا أدري ما قصته ولم اعتد بعد على الكلاب. كانت خلفه امرأة في منتصف العمر تجري نحوه وتناديه باسمه. وتقول لي لا تخف لا تخف لن يؤذيك. صرت أرقب بحذر حتى سكنت أنفاسي، وهدأ نبض قلبي، ولكن جسدي ما زال يرتعش رعشة غير معتادة، ثم عدت للبيت. كانت نهاية الأسبوع تلك، هادئة جداً لم أغادر البيت سوى فترة الظهيرة يوم السبت ذهبت إلى وسط البلدة، وشاهدت جميع الأهالي وهم يتسوقون ويجلسون في المقاهي والمطاعم، ثم ذهبت إلى الواجهة البحرية القريبة من وسط المدينة، وشاهدت العديد من المجموعات الشبابية يمرحون ويتحادثون ويتسابقون، وبعد ذلك أكلت في مطعم «صب وي» ثم رجعت إلى البيت، قمت بمراجعة دروسي السابقة وجمعت الكلمات الضرورية وكتبت الواجبات المطلوبة ثم أخلدت إلى النوم استعدادا لأسبوع آخر في هذه الديار.

تطورت مهارة الاستماع عندي وقد ساعد في ذلك متابعة الأخبار والأنشطة في المعهد. أيضا، سماعي إلى نصيحة المعلمة جولي أن اجلس في قاعة التعليم الذاتي عندما قدمت إلي مجموعة كتب مع الأشرطة للمستوى الذي أدرس فيه. وقالت علي أن أقوم بتتبع ما أسمع من الشريط في الكتاب، كانت الكتب عبارة عن قصص قصيرة. انتهى هذا الأسبوع بسرعة كبيرة جدا ربما لاندماجي في أجواء الغربة وقد بدأت في التأقلم مع طريقة العيش هنا شيئا فشيئا. المعلمة كيت كانت مرحة وجيدة في تعليم المرحلة الأولى، وحيث أن المرحلة تحتاج إلى كثير من الأنشطة الخفيفة والمسابقات فقد حاولت جاهدة تبسيط الدراسة علينا. ولم تكثر علينا الطلبات والواجبات المنزلية، وعلمتنا القواعد البدائية في اللغة والكثير من الكلمات التي نحتاجها.

الشلال العملاق



بدأ أسبوع جديد، وأتى طلاب جدد، وسار ذلك الأسبوع كما سبقه من أسابيع لم يتغير شيء يستحق الذكر، إلا أن حامدا أشار علي أن نسجل أسماءنا في رحلة نهاية الأسبوع. لرؤية شلال عملاق بالقرب من المدينة، أعجبتني الفكرة واشتركت معهم. التقينا صباح السبت بقرب «السوبر ماركت» حيث كانت الحافلة هناك والسيد «كورت» بانتظارنا. ركبنا ومكثنا بعض الوقت لانتظار حامد فقد تأخر قليلا، ثم انطلقنا وبعد نصف ساعة توقف كورت في استراحة بالطريق. وقال من يريد شراء بعض الأكل أو المشروبات عليه النزول. الجميع كان محتاطا لتلك الرحلة، عدا حامد فقد ذهب إلى المحل واشترى ما يلزمه ثم عاد.



أكملنا الطريق ودخلنا مع بوابة متهالكة خشبية يبدو أنها مدخل مزرعة ثم اكلمنا السير في طريق زراعي حتى وصلنا إلى المكان المراد. حمل كل واحد منا حقيبته وانطلقنا جميعا داخل المنتزه (أو الحديقة أو المحمية أو الشلال) احترت في تسميتها ففيها كل شيء يمكن تخيله من جمال وطبيعة. المهم سرنا كمجموعة تتكون من عشرة أفراد، فوجدنا لوحة خشبية تقودنا إلى الشلال مكتوب عليها وقت الوصول ساعة «مثل عندنا» غابة محاطة بالجبال والأشجار الكثيفة.



مجهزة بتجهيزات سياحية من الدرجة الأولى؛ ممرات خشبية وجسور فوق مجاري الأنهار ولوحات إرشادية. وبعد قرابة النصف ساعة بدأنا نسمع صوت الشلال، دعانا ذلك إلى الإسراع نحوه، والأشجار فوق رؤوسنا.



اقتربنا من الشلال وتلاشت الأشجار من حولنا؛ فرأينا الجبل الضخم الذي يكاد يغطي السماء من طوله، والشلال الذي يجري من مكان مرتفع إلى البحيرة في الأسفل. تعجز الكلمات وصف مدى روعته ومدى سحره لأعيننا، وقد حارت العقول من هذا المشهد. شدنا الفضول إلى الاقتراب أكثر حتى صرنا أسفله ورذاذ الماء المتطاير يلامس أجسادنا متعة لا يضاهيها شيء.



بدأ كل واحد منا يلتقط الصور شرع حامد في القفز بين الصخور والمرشد يحذره من ذلك. لم يستمع بداية ولكنه عرف لماذا تم تحذيره، بعد الانزلاق من أحد الصخور التي كان عليها مادة زيتية، وبعد أن امتلأت ملابسه بالماء ثم صعد مرة أخرى ولما رأى ملابسه قد تبللت. قرر الذهاب عبر الماء إلى وسط البحيرة. أخذت له بعض الصور ولم يحتمل برودة الماء فرجع وصعد الصخرة وقام بتصويري، ثم بدأنا نتحدث مع الأصدقاء ونستمتع بهذا المنظر الذي راق لنا كثيرا.



ثم قال المرشد يجب أن نعود إلى تسلق جبل قريب من هذا المكان ، يطل على بحيرة أخرى تستحق المشاهدة . لقد تسلل التعب إلينا؛ فكان طريق العودة مرهقا ولم نكن نعلم أن تسلق الجبل سيأخذ وقتا طويلا فما عدنا نتحكم من خطواتنا . أخيرا وبعد مدة وصلنا فركبنا السيارة وتوجهنا إلى المكان الآخر .

نزلنا وبدأنا بتناول الفطور ، ثم قام السويسريون بدهن أجسادهم ضد الشمس ، لم أنس ما حصل لي سابقا من حرارة الشمس فأخذت منهم « الملطف » ووضعته على الظاهر من جسدي . استلقيت على الأرض للراحة بعد عناء المشي والدم يغلي في أقدامي .



وما هي إلا لحظات وإذا بالسيد كورت ينادينا للتسلق، مررنا خلال إحدى الحقول العشبية ورأينا الألوان المختلفة والأحجام المتباينة للأشجار، ثم اقتربنا من البحيرة المائية.



فشاهدنا أنواعا متعددة من البط ، وقد انتشرت الغيوم في السماء ، وبدأ المنظر بالتقلب وكأن ما نراه شيئا من الخيال . ثم بدأنا بصعود الجبل عبر مزرعة مليئة بالأغنام . كانت خطواتي متثاقلة ولم أعد قادرا على رفعها من الأرض ، ولكن لا أريد أن يشمت بي الأصدقاء لم أوفق في اختيار (الخفين) ، فقد أتعبتني كثيرا وهي ليست مخصصة للمشي؛ بل هي لكرة السلة « لا احد يضحك » قضينا نصف المسافة ، فتركنا المرشد نستريح قليلا شفقة بحالي وبحال حامد ، وذلك لأننا أصبحنا آخر شخصين في المجموعة . رأينا الكثير من الأبقار في الصعود ومررنا بالكثير من الزهور الفاتنة .













ثم أكلمنا المسير وأخيرا بعد مرور قرابة ساعتين من الزمن وصلنا إلى الأعلى. إلى مكان يستحق العناء، بحيرتان بين جبال خضراء شاهقة يفصل بينهما جزء بسيط من الأشجار سبحان الله الخالق المبدع.



مكان يدعو إلى التأمل مكان جعلنا نتحدى الصعاب، فلا نيأس في تعبنا أثناء التسلق لأننا سوف نصل في الأخير إلى القمة التي هي مراد كل واحد، فمهما طالت الدروب وصعبت الظروف سنظل صامدين حتى نصل إلى أهدافنا.





سمير والإبداعات



نصحني صديق قديم أن آتي بعد ما زارها قبلي، كنت متحمسا في قدومي إلى هنا. سكنت في بيت قريب من سكة الحديد، ومعي في السكن طالبان من طلاب المعهد، من سويسرا. وصاحب المنزل والسيدة في غاية الرقة والطيبة، نكون في حالة استنفار كل ما مر القطار بقربنا. رفاقي في المعهد كانوا مفيدين لي جدا؛ خصوصا في الأيام الأولى، ومن حسن حظي (أو ربما لسوء حظي) كان في المعهد طالبين من السعودية في المدينة نفسها ولم أتوقع حدوث ذلك فقد ظننت أن هذه المدينة لا يعرفها غيري. فرغبتي في تعلم اللغة جيدا وحرصي على أن لا استخدم العربية إطلاقا، ولكن هيهات هيهات لا مفر من السعوديين ولا العرب فهم في كل واد وفي كل هجرة.

بدأت الدراسة وكنت أنا وعماد في القاعة نفسها، كان طموحا جدا ومبتسما في كل لحظاته. هو من يجعل الدرس يمر بسرعة في مداخلاته وتعليقاته فلم يفوت أي فرصة ليتحدث فيها. كان دائما ما يتكلم عن الوطن ودائم المقارنة بين العادات والثقافات. أما أنا فكل ما كان يهمني التعلم وليس شيئا سوى التعلم. هذه اللغة كانت تشكل عائقا كبيرا بالنسبة إلي، يكمن ضعفي في المحادثة وصعوبة نطق الكثير من الكلمات بالشكل الصحيح. مرت الأسابيع الأولى بسرعة كبيرة، وفي أحد الإجازات ذهبت مع رفقة لي من سويسرا إلى مدينة تاوبو؛ التي تبعد قرابة الساعتين في الجهة الشمالية الغربية بالنسبة لنيبيا.



وصلنا إلى بحيرة كبيرة على طرف المدينة، وانطلقنا في جولة بحرية ورحلة صيد للأسماك. أراد صديقي ستيف السباحة فطلب من السائق إيقاف القارب وقفز في البحيرة جلست أشاهده وهو يسبح، كان عمره يقارب الأربعين سنة؛ شخص هادئ بسيط وشجاع، لما بدأ يشعر بالتعب اقتربنا منه ثم ركب وجلسنا نصطاد بعض السمك، ثم قمنا بشوائه في القارب وأكلناه، ثم عدنا إلى المدينة. أكملنا التنقل في المدينة وذهبنا إلى مراكز القفز الجوي وسجلنا في إحداها وقفزنا من فوق الطائرة الشراعية، رياضة كانت مرعبة وممتعة في الوقت نفسه. بعد ذلك عدنا إلى مدينتنا نيبيا وأكملنا الدراسة.

• • •

القفز الجوي



اليوم الخميس وغدا نهاية الأسبوع الرابع كانت الأمور تسير بشكلها الطبيعي مع قليل من الضغط والجهد في التعلم. قدم إلي حامد، وقال لي: هل تريد مرافقتي أنا ومارك في رحلة قريبة فنخوض سويا تجربة الطيران والقفز الجوي. لم تعجبني الفكرة في البداية حتى جاء سمير وأخبرني أنها ليست صعبه، بل هي مشوقة، وسوف أندم إن لم أجربها. دفعني كلام سمير إلى أن أوافق للذهاب، وتجربة القفز، وقد قال لي أنها مكلفة جدا ولكنها تستحق. انتهى الدوام فخرجنا وجاءني أحد الطلاب من سويسرا. وقال ما رأيك أن نسير معا. قلت له لا بأس. تبادلنا الحديث أثناء عودتنا هو يعمل ممرضا في بلاده وأتى هنا للسياحة والدراسة. وصلنا إلى بيته فدعاني إلى حفلة الشواء التي سيقيمها الطلاب غدا. قلت فرصة رائعة وقبلت بدون تردد. أكملت السير نحو البيت وأنا أفكر في القفز الجوي والرهبة تملأني، بل إني أرتعد وتتراقص أطرافي لمجرد تخيل المنظر. وصلت المنزل قبل أن أتخذ قرار التراجع عن الرحلة. قابلني السيد ديفيد بالترحيب والابتسامة والحرص، وكذلك السيدة مارغريت. ذهبت إلى غرفتي وبدلت ملابسي ثم استلقيت على السرير وما زال يعتريني الخوف من المغامرة التي سأخوضها، راودتني بعض الكوابيس المرعبة في قيلولتي. حتى أفقت على طرق ديف للباب ويقول وقت العشاء. خرجت فغسلت وجهي واليدين ثم حملت الأواني ووضعتها على الطاولة، جلسنا فأخبرتهم عن أبرز ما تم في هذا اليوم، وأنني أنوي الذهاب إلى القفز الجوي. فقالوا هل أنت جاد إنها رياضة خطيرة. ابتسمت وقلت رغم تخوفي الداخلي إلا أنني قدمت إلى هنا وتحملت الأخطار حتى وصلت فليست مشكلة أن أجرب. ابتسمت السيدة

مارغ وقالت نعم ولن نقلق عليك فأنت أهل للتحدي . فرغنا من الطعام وغسلت جميع الأطباق ثم عدت إلى غرفتي وأنا في قمة الرهبة ، بدأ الأمر يصبح جديا وبدأ العد التنازلي للمغامرة . تسلل التوتر إلي ، ولم أستطع المذاكرة وراودتني بعض المشاهد المرعبة فطردتها ، وقمت بحل الواجبات ثم خرجت مسرعا لأتناسى الأمر . أعددت كوبا من القهوة وجلست أتابع إحدى المسلسلات مع مارغ ثم غمرني النعاس فعدت إلى الغرفة ودخلت في سبات عميق .

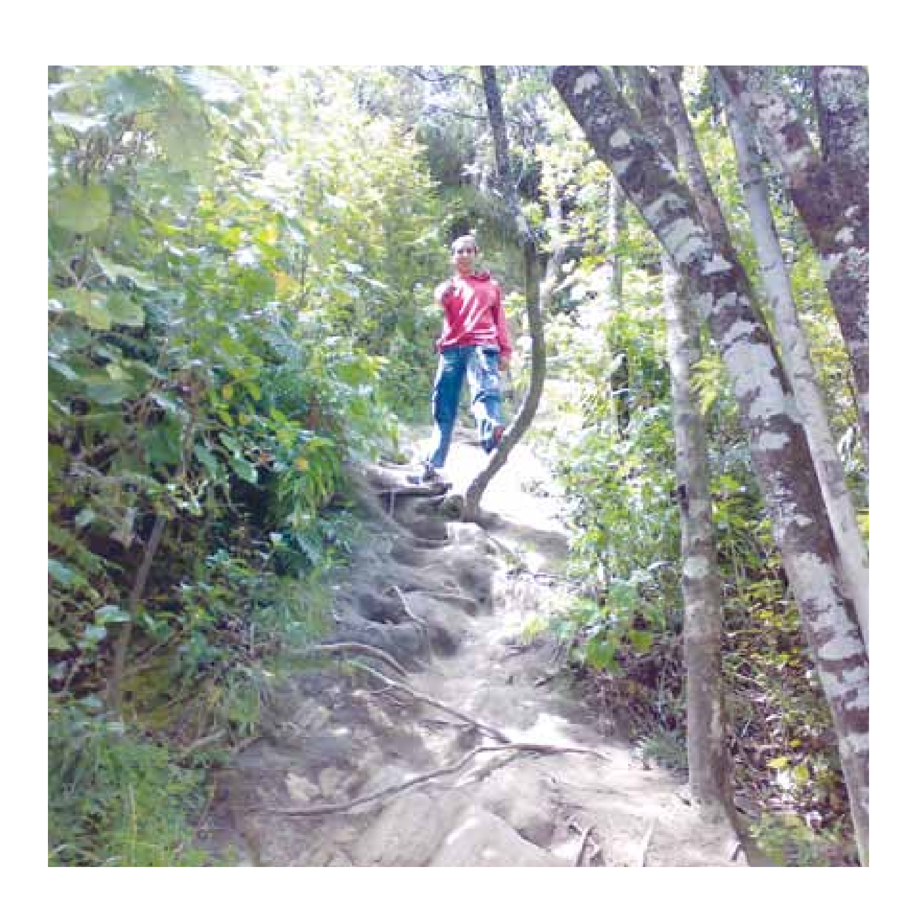
صباح مشرق وصباح جميل اليوم هو يوم الجمعة آخر الأسبوع ، انتهى اليوم الدراسي بسرعة وفي نهاية الدوام اتفقنا أنا وحامد ومارك على أن وقت الانطلاق غدا صباحا . فقال مارك أنا سوف أذهب لاستئجار سيارة وسنتقابل الليلة في حفلة الشواء . عدت إلى البيت وقمت بتغيير ملابسي ثم خرجت إلى محل صغير قريب ، وقمت بشراء بعض ما نحتاج للشواء . وقبيل الغروب بساعة سرت نحو مكان الشواء ، استغرقت وقتا طويلا في البحث عن المنزل ثم اتصلت بأحد الأصدقاء . فبحث عني حتى رأيته ثم سرنا إلى البيت . كان عدد الحضور جيدا فنحن قرابة خمسة عشر والأغلبية من سويسرا والجميع مستمتعون . شارك الكل في تجهيز الطعام وبدأت التعليقات بين الطلاب ، هذه التعليقات وهذه الاجتماعات زادت روح الألفة وقربت بيننا أكثر . لم يخل وقتنا من المزاح وبعد مدة حضر حامد ومارك بالسيارة المستأجرة وركناها خارج المنزل . فتشاورنا في موضوع رحلتنا وما هي التجهيزات وكم المبلغ المطلوب . ثم تناولنا العشاء وبدأ الطلاب مشروعهم باحتساء الشراب وأنا وحامد نرقب ذلك ويعترينا الخوف فغادرت المكان أنا وحامد لأداء الصلاة ثم عدنا إلى منازلنا للاستعداد لرحلة التهور الأولى والنوم مبكرا . عجزت عن النوم قلق شديد يعتريني ولم استطع الجزم بما أشعر به فإحساس يدفعني ويشدني إلى المغامرة يخالطه خوف من حدوث كارثة ما . باتت تراودني رحلتي السابقة في الطائرة فلم تكن تجربة رائعة ولم أفكر حتى الآن بالعودة إلى الديار حتى

لا أعيش في رعب مستمر، ومع طول التفكير وربما الحنين والشوق للأهل تسلل النوم إلي بهدوء فنمت نوما هنيئا حتى الفجر. استيقظت وصليت ثم قمت بإعداد الفطور حتى جاءني مارك. وضعت الأغراض في الحقيبة ثم ركبت وتوجهنا إلى بيت حامد.

انطلقنا إلى «تاوبو» كانت المرة الأولى التي أبتعد فيها عن «نيبيا» عاصمة الشمس. الطريق كانت وعرة، والسماء ممطرة والأنهار تجري تارة من تحتنا وتارة عن يميننا وتارة أخرى عن شمالنا والأشجار العملاقة تتمايل مع الرياح. وبعد قرابة الثلاث ساعات



وصلنا بسلام وانطلقنا إلى مركز المعلومات في المدينة. فأخذنا الخريطة السياحية للمدينة وقطعنا تذاكر القفز الجوي واتجهنا نحو شلالات «هوكا» القريبة من وسط المدينة. كانت تلك الشلالات محصورة في مضيق جبلي ولون الماء متميز جدا يميل إلى الدرجات الخضراء، وصوت جريان الماء مرتفع والأشجار منتشرة في أطرافه. عدد الزوار كبير، والكاميرات تتباهى بوميضها والأوجه مبتسمة. مع جو متقلب تارة صحو والشمس دافئة وأخرى غيوم تغطي الأفق مع رشات من المطر المنعشة.



تسلقها وكأنها تعلم أني أحب التسلق. حتى قرب وقت القفز وبدأ القلب يخفق بشدة. توجهنا إلى السيارة وسرنا باتجاه مركز الطيران فتوقفنا عنده، ونزلنا.

• • •

- المدرب «إكرو»: عماد سوف أقوم بتصويرك بالفيديو وأنت في طريقك إلى الطائرة، وعند بوابة الطائرة توقف لالتقاط بعض الصور الضوئية معي حتى تكون مشهورا، يضحك المدرب.

. ابتسمت أنا مجاملا والحماس يملأني أو أنني لا أشعر بأطرافي من هذه المغامرة.

- إكرو: حسنا فلنبدأ التصوير.

. أسير في طريقي إلى الطائرة ويحرك المدرب يده إلى الجهة الثانية يبدو أن قدمي تسير دون إرادتي فشحذت همتي ورجعت نحو البوابة من الجهة الأخرى.

- المدرب: الآن جاء وقت التصوير. وقف بجانبي فقامت المصورة بالتقاط بعض الصور. وقال إكرو أنت مشهور الآن ومحظوظ فأنت أول المنتحرين هذا اليوم.

ضحكت من مزاحه وأسلوبه الهزلي وأعلنت جاهزيتي. فأتى حامد بجانبي ثم أتى الخمسة الآخرون، انتظرنا بقية المشاركين حتى ركبوا الطائرة ثم الراكب قبل الأخير حامد. قاربت لحظة الانطلاق، ركبت أنا وكانت الطائرة صغيرة من الداخل فنحن جميعا جالسون على أرضيتها. كل شخص معه مدربه وبما أنني الأخير فأنا بجانب الباب البلاستيكي مباشرة وأرى الأرض تحتي.



أدار الكابتن المحركات وسرنا إلى طرف المدرج، وازدادت السرعة شيئا فشيئا وكل قطعة في الطائرة تصرخ وتوشك على الكسر. وأنا في قمة حماسي أصرخ هيا لنطير، هيا لنحلق (لست أدري هل هو حماس، أم شدة خوف،

المهم أنه لا مجال للعودة). ارتفعنا عن الأرض ونحن الآن فوق الغيوم وصلنا الارتفاع المحدد والمكان المحدد. لبست « خوذة » الرأس والنظارات والجو يزداد برودة في الأعلى. أعطاني المدرب الإشارة للخروج وفتح الباب أمرني أن لا افعل شيئا غير الخروج على الطرف وأن امسك بالحزام على صدري وعند القفز أكون بشكل مقوس كالموزة (حسب تعبيره) وهو سيتولى المهمة. أخرجت الجزء السفلي من جسمي وأنا بين مصدق ومكذب هل أنا أحلم أم لا. والرياح تدفعني بقوة نحو جناح الطائرة والغيوم بعيدة في الأسفل. أمرني إكرو بالعودة داخل الطائرة وطلب من القائد تغيير الاتجاه بعكس الهواء. مرت دقائق، وفتح المدرب الباب خرجت ولم أرتعد كما في خروجي الأول. فقد استسلمت لحتفي في هذه اللحظات القليلة مرت أمام عيني لقطات سريعة عن حياتي بكل ما تحتويها وذكرياتي السابقة. فتركت جسدي مرنا يتحرك بحركة الرياح يمسكني المدرب ونقفز معا. المدرب بيده كاميرا التصوير وبيده الأخرى مقياس الارتفاع. أشعر أنني طائر يهوي مرغما طردت التخيلات وركزت النظر إلى الأسفل. سرعتنا في النزول تصل مائتين كيلومترا في الساعة والهواء يضرب في وجهي، أحسست أن رئتي ستنفجر وأنا كاتم الأنفاس. ضربني المدرب على كتفي إشارة لأطلق اليدين واسبح في السماء. لم استوعب بسرعة. فأعاد ضرب كتفي. فأطلقتها وحركتها كما ترفرف الطيور. والمدرب يضحك ويستعرض بحركاته البهلوانية وأنا في قمة نشوتي أحساس لا يمكن وصفه ومتعة لا تشابهها متعة. وصلنا الغيوم فدخلنا فيها واخترقناها ثم قام المدرب بفتح « البرشوت » المنطاد. ارتفعنا مرة أخرى إلى أعلى وشعرت بالماء ينزل من العينين والأذنين، وهو شيء طبيعي بسبب الضغط الجوي.



الآن بلغنا قمة الاستمتاع وزال الخطر، وأنا أرقب العالم من تحتي والبحيرة التي كانت كبيرة حين كنت بالأسفل صارت صغيرة. والبيوت لا تكاد ترى ثم رأيت حامدا عن يميني يسبقني في النزول بسبب وزنه الثقيل.



– المدرب: يسأل ما رأيك في المغامرة . هل تستحق التجربة ؟

. أجيبه في غاية الروعة . ويمر الوقت سريعا وأنا أشاهد سحر الطبيعة ، وأستمتع بالأجواء المنعشة ثم قاربنا على الهبوط إلى الأرض .

– المدرب : كن مستعدا للجري .

هبطنا وخفض المدرب السرعة ثم ركضت خطوتين أو ثلاثا ثم توقفت. اضحك كثيرا ويعتريني شعور غريب أحس أنني إنسان آخر مختلف عن السابق. التفت إلى المدرب وأقول سأعاود الكرة مرة أخرى بل ربما مرات عديدة لاحقا. يأتي حامد بجانبي فيصورنا المصور فيقول حامد هو مبتسم « وش تعليقك على القفز». أنا ما زلت أشعر بنشوة وفرح شديد أجيب القفز شيء «خرافي» ولا أستطيع وصف مدى إعجابي بهذه التجربة. اصمت قليلا وأسأل نفسي هل كنت في حلم ثم الآن أفقت. أنا فعلا مختلف وقوة داخلية تدفعني إلى خوض أية مغامرة ولمواجهة كل التحديات. فأسير وأنا كلي شموخ ويسير معي حامد إلى داخل المركز. يخبرنا المدرب أن علينا الانتظار حتى يتم تجهيز أشرطة الفيديو الخاصة وألبوم الصور. يأتي مارك ويقول هل كل شيء على ما يرام. أبادر أنا مسرورا ومبتهجا، بل إن كل شيء كان خياليا.

- حامد: أنا لم أتحمل سرعة الهواء أحسست أن الرئة ستنفجر فسددت أنفي بيدي؟ ولكن التجربة رائعة جدا.

بعد فترة قصيرة يأتي المسئول ويطلب منا الدخول إلى غرفة العرض. ندخل جميعا نشاهد قفزاتنا، يعلق حامد على حركاتي وتعليقاتي وأنا أضحك. ومارك أيضا يرى العرض وبعد ذلك يعرض مقطع حامد يصرخ مارك ويضحك بصوت عال، فمنظر حامد مضحك وهو يسد أنفه. يسلمنا المدرب الأشرطة والابتسامة تملأ محياه ثم يودعنا ويشكرنا على الثقة بمركزهم ويدعونا إلى القدوم مرة أخرى. أصافحه أنا ومن بعدي حامد ثم نسير إلى السيارة نركب ونحن نتبادل المزاح. يقود مارك السيارة ونمضي في طريقنا إلى إكمال رحلتنا.

تعلمت اليوم أمرا جديدا، هو أنني عندما أشعر باليأس والفشل أو الملل أو خيبة الأمل علي أن اشترك في مغامرة، أو لعبة فيها شيء من الخطورة، حتى أجدد نشاطي وأشعل طموحي لينير مسيرتي القادمة.

الحديقة البركانية



نحن الآن على الطريق باتجاه «روتوروا» شمال مدينة تاوبو الطريق مزدحم نسير ببطء ثم ندخل في الطريق السريع . أنا مبحر في النظر إلى المزارع عن يميني ومستمتع بالأجواء، وغارق في التفكير . مازلت أشعر بلذة القفزة تعاودني كل لحظة أعلنت التحدي لكل الظروف المستقبلية وضحكت على حالي في طائرة القدوم لهذه البلدة والمعاناة السابقة . قضينا قرابة الساعتين في الطريق ثم وصلنا إلى روتوروا . أشار حامد بيده إلى مركز المعلومات على اليسار فتوقفنا عنده . ذهب حامد ومارك لحجز شقة صغيرة واستلموا إيصال السداد والخريطة وعادوا إلي؛ فسرنا بالسيارة . مارك يبحث يمينا وشمالا ويقلب الخريطة ينعطف في السيارة إلى اليسار فنمر بجانب بحيرة . فطلب حامد من مارك ركن السيارة . نزلنا واقتربنا من البحيرة والبخار يتصاعد منها . تهور حامد ولمس المياه البركانية (أحدث نفسي أرجوا أن لا تصبح أصابع يده كالنقانق المشوية) يخرج يده وأنا أرقبه . فيقول عماد تعال جرب . وضعت يدي في الماء الساخن (جاكوزي طبيعي) . فنعود إلى السيارة لنكمل البحث عن شقتنا حتى وجدناها في مكان غير بعيد . حمل كل واحد منا حقيبته ودخلنا الشقة ووضعنا الحقائب في الغرفة؛ ثم توضأت أنا وحامد وصلينا . شعرت أنا ومارك بالجوع . فقال مارك ما رأيك أن نخرج لنأكل شيئاً؟ قلت حسنا لنذهب . وقال حامد أما أنا فمتعب وأريد الراحة .

خرجت أنا ومارك سيرا على الأقدام ورأينا مطعما قريبا فدخلنا وطلبت أنا بعض السجق . لما بدأنا الأكل وشرعت أنا في أكل البطاطس . قال مارك عماد يبدو أن الوجبة التي طلبتها لحم خنزير فاللحم أبيض . أقول أنا هل أنت متأكد . فيقول

نعم . طلبت الطباخ لأسأله عن نوع اللحم . فقال الطباخ نعم هذه مكونة من لحم الخنزير . قلت أنا قد طلبت لحم بقري من البائع . قال الطباخ للأسف لا يوجد لدينا غير هذا فأخذ السجق وترك الأطباق الأخرى وقال للبائع أعد له نقوده . ثم عاد نحوي وهو يقول تمتع بالوجبة المجانية ونعتذر عن عدم خدمتك بالشكل المطلوب . شعرت بالذهول لوهلة فسرعة ردة الفعل لم تكن متوقعة كانت شيئا غير معقول بالنسبة لي . ضحك مارك وهو يقول محظوظ أنت بهذه الوجبة المجانية . عدنا إلى الشقة وكان حامد يطل علينا من أعلى البناية . صعدنا إليه وجلسنا نناقش كيف ستكون خطة الغد وإلى أين سنذهب . ثم صلينا المغرب والعشاء وكل واحد توجه إلى سريره للنوم . وأنا أتقلب على الفراش وأردد هل أنا أحلم أم أن عقلي قد طار وحلق في المساء يوم أن قفزنا ، هل أنا مجنون أم قد أصابني مس . هل أنا فعلا عماد ذلك الشاب الانهزامي الحزين الانطوائي . أم أنه قد آن أن أحلق عاليا في سماء التألق والإبداع .

حامد : عماد هيا أنهض فقد استغرقت في نومك كثيرا . وما تلك الكلمات التي كنت تهذي بها في نومك ، كل فترة أستيقظ على همساتك وأنت تحدث نفسك . قلت أنت تمزح يا حامد . قال لا فعلا ، لما المزاح . قلت هذه أول مرة أقوم بالتحدث وأنا نائم فلم يسبق لي أن تحدثت في النوم . قال حامد أضف هذه الحركة إلى التغيرات التي تقول لنا عنها . فأنت كل يوم تتغير منذ قدومنا إلى هذه البلاد . هيا يا عماد لنأكل شيئا قبل الذهاب إلى الحديقة البركانية . نهضت ثم خرجنا إلى المطعم نفسه الذي أتيناه بالأمس ، فأكلنا وجبة إفطار خفيفة . ثم انطلقنا إلى المكان الذي نريده واشترينا التذاكر ودخلنا إلى الحديقة .







رأينا الأبخرة المتصاعدة وقد ملأت السماء ورائحة الكبريت تفوح، لم تعجبنا الرائحة ولكن مالنا إلا أن ندخل. بدأنا بمساكن «الماوريين» المصنوعة من الخشب وهي عبارة عن أكواخ صغيرة. الغريب فيها أن نصفها داخل الأرض، ثم سرنا بجانب المعبد، والتقطنا بعض الصور.







بعد ذلك توجهنا إلى مكان الأبخرة والفوهات البركانية، رأينا أحد المرشدين السياحيين فتبعناه. قام يشرح لنا عن ثقافة السكان الأصليين وكيف أنهم يقومون بوضع الأكل في سلال مصنوعة من ورق الأشجار ويتركونها داخل هذه المنابع الساخنة حتى الاستواء ويتناولونها كوجبة ساخنة. ثم عبرنا إحدى السلالم الخشبية لمغادرة الحديقة، وركبنا السيارة وعدنا من حيث أتينا.



• • •

مهرجان الزخرفة



مع بداية جديدة مختلفة عما سبقها من أيام؛ فروح التحدي تغمرني والفرح والسرور ظاهر لكل من هم حولي من العائلة والمدرسين والأصدقاء. كنت أتحدث في كل فرصة عن تجربتي في القفز وكان الجميع منصتا لي مع الشعور بأهمية هذا الأمر، وعظم ما قمت به. فحسب قولهم أن هذه المغامرة مصدر فخر واعتزاز يحق لي أن أتباهى بها أينما كنت.

في وقت الإفطار أفادتنا كيسي أن المعهد سوف يقيم مسابقة تعتبر سنوية لأفضل لباس بمناسبة مهرجان الزخرفة في المدينة وأن المدينة، ستشهد احتفالات ومسرحيات وملابس وسيارات تراثية وستكون محط أنظار كل مدن نيوزيلندا. تفاعل الجميع وبدأنا التفكير في ماذا يمكننا لبسه في مسابقة المعهد. قامت المديرة كريستين بتقديم بعض الملابس التراثية لمن لا يستطيع الحصول على ملابس وباشر الجميع البحث في محلات التراث. عدت أنا إلى البيت وأخبرت العائلة عن المناسبة فقام السيد ديف بتقديم قبعته الخاصة لي. لبست أنا ملابس رسمية سوداء وجهزت نفسي للخروج بعد أن قمت بالاتصال بحامد لأخبره أن نجتمع في وسط المدينة فالفضول يعترينا لرؤية فعاليات المهرجان. خرج أهالي البلدة وبدأ الزوار يتوافدون وتزداد أعدادهم وانتشروا في كل جهة من وسط المدينة. أقيمت العديد من الرقصات الاستعراضية المحلية والحفلات الموسيقية وكان المهرجون يسرحون ويمرحون




G.W. JONES
CARRIER
Phones
37 NAPIER
TARADALE

ليضحكوا الأطفال الذين هم أيضا يلبسون الملابس التراثية. حامد كان يلبس ملابس بيضاء لأحد المشهورين وقبعة طويلة فكان محط أنظار الجميع كنا نسير جنبا إلى جنب. أثناء تنقلنا في مركز المدينة طلب الأهالي التصوير معنا من أطفال وشباب ومسنين. أدركنا أنها فرصة لتوثيق هذا المهرجان والاحتفاظ بالصور فكل ما علينا هو استئذان كل من نريد التصوير معه. بدأنا نتسابق على كل شخص مميز وقابلنا أناس كثر، وتحدثنا مع عدد كبير منهم. كانت فرصة ثمينة لنتدرب على المحادثة مع السكان والسياح.




قفزات التغيير


SJ900


KM1929



ثم سرنا نحو الشاطئ وقد بدأ استعراض الطيران على الواجهة البحرية. وفي طريقنا رأينا عددا كبيرا من السيارات القديمة، مصفوفة على الواجهة البحرية للمدينة. اكتسبنا علاقات جيدة وصداقات فريدة أنستنا أجواء الغربة، وصرنا نشعر أننا في بلدنا. ومع الغروب قررنا العودة إلى المذاكرة فعدت إلى البيت وتناولت وجبة العشاء وتحدثت مع مارغ وديف ثم شربنا القهوة معا. ذهبت إلى غرفتي للمذاكرة وأنا أرقب النافذة الخشبية ولا شيء يوازي سعادتي وراحتي في تلك البلد وذلك المنزل وهذه العائلة الفريدة.

ومع خيوط الفجر المنعش استيقظت وتوضأت، ثم صليت وخرجت كالعادة للسير حول البيت. تنفست كما يتنفس الصباح المنعش المحفز، ثم رجعت إلى البيت وجهزت الحقيبة وذهبت إلى المطبخ لتحضير الفطور والشاي الصباحي.

وبعد أن فرغت من الطعام خرجت وركبت الدراجة واتجهت إلى المعهد، وبعد المعهد خرجت للدوران في وسط المدينة وأعجبتني بعض الاستعراضات فجلست على إحدى الكراسي وتابعت العروض. وبينما أنا على تلك الحال لاحظت أحد المصورين المحترفين يوجه الكاميرا نحوي ويلتقط الصور. وعندما كنت أتأمل في الحضور أخجلتني أحدى كبيرات السن وهي تطلب مني السير معها. اعتذرت عن ذلك فمسكت يدي وأخذتني إلى وسط العروض. تغير لون وجهي إلى الأحمر وهي ممسكة بيدي وترفعها إلى الأعلى. فطلبت منها أن تترك يدي وعدت إلى مكاني ومن حولي يصفق ويبتسم. أتى المصور نحوي وطلب اسمي. فقلت له أسمي قام بتدوينه في ورقة صغيرة ثم غادر المكان. قدمت نحوي السيدة المسنة مرة أخرى ولكنها هذه المرة تريد التحدث معي. سألتني من أين أنا. وماذا أعمل هنا. وشجعتني على الجد في الدراسة وقامت بتهنئتي على شجاعتي في اختيار الغربة حيث أنها ليست بالأمر الهين.



في صباح يوم المسابقة في المعهد كان الجميع يلبس الملابس التراثية وكلنا نتوق إلى الفوز بالجائزة. تخلل ذلك بعض الألعاب وفي الأخير قام كل واحد منا بالمرور أمام الطلاب للتصويت. حتى نرى في النهاية من سيفوز. كان الفوز حليف حامد فقد اشترى الكثير من القطع التراثية المكلفة وهذا الأمر من أهم هواياته. بعد انتهاء المسابقة قمنا بالتصوير الجماعي ثم غادرنا لنجوب المدينة ونقضي أمتع الأوقات. سنحت لنا الفرصة للتعرف على رجل من العراق اسمه سعد صاحب مطعم في المدينة وقد أكرمنا على حسابه الخاص لكوننا عربا. فشكرناه وتبادلنا الأرقام ليتسنى لنا الاجتماع في أي وقت مناسب، عرض علينا خدماته ولم يبخل بأي شيء يستطيعه. في صباح اليوم التالي قدم إلي احد الطلاب واخبرني أنه رأى صورتي في إحدى المجلات في مركز المدينة. فذهبت مسرعا واشتريت المجلة.

كانت كل لحظاتي مع العائلة ممتعة وكنت استشعر مدى العطف والاهتمام الذي أتلقاه منهم. بدأت أنادي السيدة مارغ «مام» لأن ذلك يعجبها وهي دوما كانت تقول أنت ابن لنا كنت أجد راحتي معهم في البيت وكنت أخبرهم عن كل شيء يواجهني وكانت مارغ صبورة عندما أتحدث بلغتي الركيكة. علم المعهد بأمر صورتي في المجلة فقاموا بتعليقها على الحائط وقالوا أنها ستكون دوما في أعلى اللوحة.

• • •

التيارات الباردة



مع صباح يوم جديد تكشر التيارات الباردة عن أنيابها بزئير الرياح ثم ابتدائها الهجوم على الأرض الجميلة، الأرض المتمازجة الألوان، بين الحمرة وبين الصفرة. تبدأ الأشجار بالتخلي عن أوراقها البائسة لتكون فريسة للرياح التي تقذف بها بعيدا. والأنهار تجري مجنونة بقيادة الرياح فتزيل كل ما يعترض طريقها من العقبات. وجسدي النحيل قد جف وخف وزنه حتى قارب على الطيران ورغبتي الجارفة تقودني إلى الانطلاق لمكان غير معلوم ورغم ذلك فإني أتشبث بالحقيقة التي تشدني لأستقر في مكاني. هذه الحقيقة التي تقوي صبري وتصقل مهاراتي لبلوغ السماء فلم أتقن الطيران بعد ولم يشتد جسدي ويقوى.



أتناول إفطاري مسرعا وأنطلق ممتطيا دراجتي متجها إلى المعهد. فتتسلل التيارات الباردة حول رقبتي (يا ربي ما هذه السكاكين الحادة) هذه هي البداية فكيف ستكون الأيام القادمة. أتوقف لألف على عنقي « الشال » جيدا ثم أتابع المسير والرياح الصباحية تشتد برودة. وصلت إلى المعهد وقد بدأت أفكر جديا في الشتاء القادم وكيف سأقاومه وأنا على هذه الدراجة.

– حامد: لماذا لا تشتري سيارة فالسيارات رخيصة جدا.

. سمير: لكن البنزين تكلفته عالية.

– حامد: لن يستهلك الكثير من الوقود لأن السيارة ستكون فقط للمعهد.

. أنا أستمع والصمت يعتريني، وأمام عيني تعود مشاهد الصبح وتياراته الباردة. ينتهي الدوام ثم أخرج متجها إلى معرض السيارات على الطريق فوجدت سيارة قديمة ورخيصة وقيمتها ألف وخمسمائة دولار نيوزيلندي (أي ما يقرب الثلاثة ألاف وسبعمائة ريال سعودي) أعجبتني كثيرا ولكن اخترت أن اذهب إلى البيت لأستشير السيد ديف.

– ديف : هيا يا بني ماذا تنتظر. ما رأيك أن نذهب لنجرب السيارة.

. ردة فعل «ديف» كانت رائعة وأعجبتني كثيرا. هيا لنذهب سيدي.

دخلنا المعرض وتكلم ديف مع البائع وسأله عن السيارة، ثم أخذ المفتاح. ركبنا السيارة فقاد بنا ديف واتجه إلى أعلى التل لاختبار أدائها في المرتفع.

– ديف : هذه أفضل سيارة مقابل هذا المبلغ من المال. خذها ولا تتردد.

عدنا إلى المعرض واشترط السيد ديف على البائع أن يجدد فحص السيارة، وينقلها باسمي. فقبل البائع و توجهنا إلى المنزل.

دخلت الغرفة وأخذت قسطا من الراحة. بعد ذلك قلت يلزمني الآن محادثة والدي، وإخباره بالأمر فليس لدي النقود لشراء السيارة أخرجت الجوال واتصلت.

– والدي: مرحبا.

. السلام عليكم يا أبي العزيز. كيف حالك ؟

– والدي: وعليكم السلام أهلا بك عماد. كيف حالك. وهل كل شيء على ما يرام ؟

. الحمد لله بأفضل حال. أخبرني عن أمي والأهل جميعا ؟

– والدي: الجميع بخير ويسألون عن أحوالك. خذ والدتك فهي بجانبي.

. السلام عليكم كيف حالك يا أماه؟

– والدتي: وعليكم السلام عماد (بصوتها الحزين وعبراتها النقية) كيف حالك ومتى ستعود.

. بخير يا والدتي الغالية والعودة قريبا بعون الله.

– والدتي: أهتم بصحتك جيدا ولا تتأخر كثيرا.

. أريد والدي يا أماه.

– خذ والدك.

. أهلا أبي أريد إخبارك بأمر. الجو أصبح باردا الآن ولا أستطيع قيادة الدراجة. فأنا أحتاج شراء سيارة وقد اخترت سيارة جيدة بسعر رائع.

– والدي: لا مشكلة يا بني ولكن كيف هو مستواك في اللغة. هل تمكنت منها أو أنك ما زلت مهملا كما أعرفك.

. لا يا أبي لست ولدك المهمل فالأمور تغيرت هنا وثقافة المكان جعلت لحياتي قيمة كبيرة. فإن لم أتعلم وأستغل وقتي ما الفائدة من غربتي.

– والدي: كم هو مبلغ التحويل؟

. المبلغ (١٥٠٠) دولار نيوزلندي.

– والدي: في الغد سيصلك المبلغ بحول الله وقوته. المهم أن تكون حريصا على نفسك ودراستك.

اليوم التالي اذهب إلى المعهد وبعد المعهد انطلق إلى المعرض لاستلام السيارة. شعرت بتخوف قليل أثناء القيادة ولكن ما ساعدني أنني من خلال قيادة الدراجة تعلمت الأنظمة المرورية. صباح اليوم التالي انطلقت إلى المعهد بالسيارة ترددت في دخول الطرق الرئيسة في المدينة ولكنني توكلت على الله وسرت حتى وصلت بسلام. دفعت قيمة الوقوف بجانب المعهد ثم دخلت والوقت مازال مبكرا فلم يبدأ الدوام بعد. جلست في الصالة الرئيسة وقمت بتجهيز كوب من الشاي فأتى بعض الرفاق وألقوا التحية، وتحدثنا في أمور عديدة؛ منها الدراسة ومنها المواقف الطريفة، ضحكنا ودخلنا القاعات الدراسية.

– المعلمة «روث»: كيف حالك عماد؟ هل أنت جاهز ليوم شاق جديد في التعلم؟

. نعم وليس شاقا معك فأنت قادرة على إيصال المعلومة بوضوح.

– سمير يدخل متأخرا: مرحبا يا شباب كيف حالكم؟

. نرد عليه جميعا.

– سمير: مبروك السيارة الجديدة يا عماد.

. شكرا سمير، أنت مدعو لنتجول بعد الدراسة أنا وحامد.

– سمير: لا مشكلة وأيضا سوف نقوم باصطحاب احد الأصدقاء الجدد من السعودية يدرس في المعهد الآخر في المدينة.

. لا مشكلة، أنا جاهز.

. كل ساعة أنزل إلى السيارة لتسديد قيمة الوقوف.

ينتهي الدوام ونزلنا إلى السيارة واتفقنا أن نذهب للراحة، وبعد ساعة نجتمع، اتجهت إلى المنزل لقضاء بعض الوقت مع العائلة ودخلت الغرفة للراحة حتى قام حامد بالاتصال.

– حامد: هيا لنجتمع عماد أنا في انتظارك في المنزل.

. استأذنت السيدة (مارغ) وخرجت وسرت إلى بيت حامد ثم إلى بيت سمير .

– سمير: يا شباب دقائق لأقوم بالاتصال بماهر وأعرف أين يسكن .

. قلت له خذ وقتك .

– سمير: أهلا ماهر . كيف حالك ؟ أرجو منك توصيف البيت .

– ماهر عبر مكبر الصوت: البيت رقم (٢٧٨) طريق « كيندي » .

اتجهنا إلى طريق «كيندي» فقام سمير وحامد بالبحث في الأرقام على كل بيت في الطريق وبعد مشينا مسافة طويلة وصلنا إلى المكان المراد ، وكان مجمعا سكنيا وليس منزلا واحدا .

– سمير: نعم انظر إنها عبارة عن وحدات سكنية صغيرة .

– حامد: اتصل بماهر واخبره أننا في الخارج .

يخرج ماهر من البيت في آخر هذا المجمع يبدو أنه بيت مالك الموقع فهو كبير ويحتوي على طابقين خلاف الوحدات الأخرى ننزل من السيارة .

– ماهر: السلام عليكم يا شباب . يسلم علينا جميعا وسمير يعرفنا على بعض ، ثم نركب السيارة ونقوم بجولة سريعة على المدينة .

– سمير: الحمد لله على السلامة يا ماهر كيف كانت رحلتك إلى هنا .

– ماهر: الرحلة متعبة جدا وما زلت مرهقا بسببها حتى الآن .

قمت بالمرور على أهم الأماكن في المدينة ، كالميناء البحري والشاطئ ، ثم على وسط المدينة؛ ليرى ماهر المدينة . ثم توقفت عند المقهى في المرفأ لاستضافته فاحتسينا بعض القهوة .

– ماهر: ما أروع المكان . جميل جدا هذا المرفأ .

– حامد: لم تر شيئا حتى الآن .

– سمير: يجب أن نصطحب ماهر نهاية الأسبوع إلى الشاطئ وتناول الغداء فيه .

أخبرنا ماهر عن مغامراتنا السابقة وعن المدينة ومزاياها ثم أعدتهم إلى منازلهم فالدراسة أولا كانت شعارنا. وحسب الموعد اجتمعنا نهاية الأسبوع وتناولنا الغداء وسرنا بمحاذاة الشاطئ. كانت الرياح شديدة؛ فاقترح سمير الذهاب إلى المقهى المطل على المرفأ البحري. اتفقنا على ذلك وسرنا نحوه، ثم طلبنا الشاي وقضينا الوقت ونحن نستمتع معا في الحديث. أكثر ما شد انتباه العاملين وربما أثار غضبهم ارتفاع أصواتنا (لا أدري لماذا تكون أصواتنا عالية في المقاهي) واستهلاكنا كمية كبيرة من السكر.



هروب إجباري



الحياة لا تصفو لأحد، ولا تدوم الأحوال كما نريد، رغم الأوقات الجميلة التي نقضيها ونستمتع بكل تفاصيلها. ورغم رغبتنا بإيقاف الزمن على ما يعجبنا، أو تحريك عقاربه إلى الأمام لاجتياز المصاعب أو الأشخاص السيئين في طريقنا؛ فهي تجبرنا على التحمل والصمود، وإن اخترنا الهرب قليلا.

أسبوع جديد يبدأ، وكالعادة طلاب جدد من بينهم ثلاثة سعوديين؛ عيد وفارس وسعد كل له صفة تميزه عن الآخر. فارس كان في المستوى الأدنى؛ فهو يحتاج إلى تأهيل في اللغة كان شابا يحب المرح والاكتشاف، لا يمتنع عن تجربة أي جديد؛ لذلك يميل أحيانا إلى التهور. أما عيد وسعد فقد انضما إلى المستوى الذي ادرس فيه وصار عددنا أربعة من السعودية، وأربعة من اليابانيين وواحدا من سويسرا. لم اقدر على تحمل مزاح عيد وتصرفاته المزعجة والمعلمة «روث» بدأت تتذمر منه منذ اليومين الأولين. فضاقت بي الأرض ولم أعد أحتمل المكوث في المكان نفسه الذي يكون فيه، بقي أسبوعان على المدة المحددة لي في المعهد، وتحتاج إلى تمديد، ولكن بعد هذا الموقف فكرت بتغيير المعهد. مرت هذه الفترة ببطء شديد واختناقي كل يوم يزداد؛ فتحاول المعلمة تهدئتي وتشجيعي وحثي على الاجتهاد والصبر. تطرقت روث إلى موضوع عن كبيرة سن في العقد الثامن من حياتها شرعت في كتابة رواية لها ولما انتهت منها حققت نجاحا بالغا فلم يمنعها عمرها عن تحقيق طموحات جديدة في هذه الحياة.

- وختمت المعلمة الحديث: أنه يتوجب على الجميع أن يكتب شيئا ما. فأنا أكتب مذكرات يومية في كتابي وادعوا الجميع إلى مثل ذلك.



تاهت بي الأفكار برهة من الزمن، وقلت في نفسي ربما سأكتب يوما عن هذا البلد الجميل، وسرعان ما تلاشى هذا الخيال إلى الحقيقة المرة مع عيد. انتهى الأسبوع بسرعة ولم يتبقى لي سوى أسبوع واحد لفراق هذا المكان. اتفقنا ومجموعة من الطلاب والمدرسين على الاجتماع هذا المساء في مزرعة عائلة تكفلوا بالتجهيز لحفل صغير توديعا للطالب من ألمانيا الذي يسكن معهم. بعد ذلك عدت إلى البيت للراحة، فدارت عقارب الساعة سريعا وحان وقت الاجتماع خرجت متجها إلى منزل حامد لاصطحبه معي.

– يركب حامد: مساء الخير عماد.

. مساء النور والسرور.

– حامد: هل تعرف الطريق ؟

. ليس جيدا. ولكن اعرف انه يقع في الطريق نفسه المؤدي إلى منزل سمير.

يتصل حامد بسمير ويسأل عن مكان المزرعة ويدلني إلى الموقع. ننزل من السيارة وندخل المزرعة فنجد عددا لا بأس به من الطلاب والمدرسين، نلقي التحية، ثم نجلس وقد أحضرنا الشاي والقهوة لتناولها. فندعو البعض لتجربة القهوة العربية؛ أحدهم يمتنع وآخر يجرب على استحياء. ثم نتحدث في كل الأمور ونخرج قليلا في الساحة المفتوحة بجانب المنزل والمطلة على المزرعة. نبدأ المزاح ثم يتحداني أحدهم في القفز على لوح مطاطي. فذهبت وبدأت القفز بحذر وبعد مرور القليل من الوقت بالغت في القفز وكأنني أحلق عاليا. ومع الحماس الزائد فقدت التوازن ونزلت على قدم واحدة بشكل مائل وكنت سأسبب لنفسي الضرر فلدي العديد من الإصابات القديمة في القدم.



اخترت أن انزل مع قليل من الألم خير من المشي بعكاز عدت إلى الشباب وأكملنا ما بدأنا ثم أتصل سمير .

– سمير: عماد أريدك أن تأتي لتقلني من المنزل إلى المزرعة .

. حسنا سمير أنا قادم . خرجت لإحضاره سريعا ثم أكملنا أمسيتنا مع المجموعة ، تخلل ذلك ضحك ومزاح وتجارب وتفاخر بالانجازات ، وما إلى ذلك . ثم تناولنا العشاء بدأ بعض الطلاب بتناول المشروبات . رأينا أن العقول بدأت تخف وتزداد الأصوات ، وصار المكان لا يناسبنا ، فحزمنا أمتعتنا وخرجنا . أوصلت سميرا وحامدا إلى منازلهم ، ثم عدت إلى منزلي لارتاح بعد هذا اليوم الجميل .



يبدأ أسبوع جديد في المعهد، نكمل الدراسة، وكالعادة طلاب جدد قادمون من كل مكان وطالبان من السعودية، انتهى الدوام الشاق واتجهنا إلى مقهى الاثنين، وبدأنا بالتعرف على المستجدين، وعن تاريخهم السابق، وخططهم المستقبلية، وسبب قدومهم إلى نيوزلندا.

– السعودي الأول: اسمي سعيد من السعودية اسكن في العاصمة الرياض عمري ٢٠ سنة وأدرس في كلية التقنية. هذه هي الزيارة الثانية إلى هذا المعهد، فالسنة الماضية كنت هنا. وأنا أفضل الحضور أثناء الإجازات الرسمية لدراسة اللغة.

– السعودي الثاني: اسمي فهد من السعودية ومنطقتي القصيم عمري ٢٢ سنة تخرجت حديثا من الجامعة وأنوي إكمال الماجستير. اخترت هذا المعهد بناءا على البحث في الانترنت وسوف اجلس هنا قرابة الخمسة اشهر.

تبادلنا النصائح والمزاح، ثم كان لزاما على السابقين إعادة ذكر القانون العتيد للسعوديين أو ما أطلقنا عليه «معاهدة طويق» التي تنتهك كل لحظة.



أعلن الأسبوع الأخير ختامه باجتماع جميل وخطبة عصماء من سمير أضحكت الطلاب والمدرسين . ثم أتى دوري في إلقاء مقال الشكر لهذا المعهد الرائع فيما يقدمه من إسهامات وتحفيز للطلاب الدارسين وحسن اهتمام . وفي كسر حواجز الخوف التي تصيب المغتربين . بعد ذلك قدمت باقات الورد إلى الإداريين والمدرسين وطاقم الاستقبال ، على تعاونهم وتسهيل كل الإجراءات المتعلقة . وبعد حفل التخرج التقطنا الصور للاحتفاظ بها في كتب الذكريات الجميلة . ثم قرر احد المدرسين انطلاق مسابقة اليوم الأخضر تشاركنا اللعب والسباق والتنافس حتى انتهى الوقت لذلك اليوم .





مر الوقت سريعا على مجيئي إلى هذا المكان وكأنه أسبوع واحد. لقد أحسن المعهد في طريقته وفي تعامله معنا، كنا نشعر أننا أسرة واحدة، نحزن معا، ونفرح معا نتشارك في كل شيء مزيج بين الترفيه وبين الجدية في التعليم. اجتمعنا نهاية الأسبوع في بيت سمير لتوديعه، فقد انتهت رحلته الدراسية، وتناولنا العشاء مع العائلة المستضيفة. وقام فهد بدعوتنا في الغد إلى تناول الغداء بهذه المناسبة.

• • •

المعهد الجديد



ذهبت إلى المنزل فرحب بي السيد ديف واخبرني أن السيدة مارغ لن تأتي مبكرا . فهي خارجة لأداء رياضة المشي مع صديقتها ، ستقومان بصعود درج التل في وسط المدينة .

– ديف: ما رأيك أن نعد العشاء معا .

. لم لا يا ديف . نسير نحو المطبخ فيقوم ديف بإخراج الفاصوليا والبطاطس ثم جهزنا الأكل .

– ديف : هذا أفضل وأسرع طبق يمكن أن يعده الرجل . خذ يا عماد طبقك ولنذهب إلى التلفاز فموعد الأخبار قارب على البداية .

. ننعم بطبق سريع وننهيه بوقت أسرع من إعداده ثم أذهب إلى المطبخ لأعد كوبين من القهوة . وأعود فنتابع الأخبار ثم أغادر متجها إلى غرفتي للراحة ، بعد هذا اليوم الشاق .

قضيت نهاية أسبوع هادئة ، وقليلة الأحداث ، مسترخيا ، وقمت بتمديد هذا الاسترخاء أسبوعا إضافيا للراحة من عناء الدراسة .



كنت أثناء تلك الأيام أخرج إلى وسط المدينة وأشتري الغداء ثم أذهب لتناوله في الواجهة البحرية فتأتي العصافير الصغيرة لتشاركني الأكل. ثم أسير بمحاذاة الشاطئ مسافة طويلة، كنت استنشق الهواء النقي، وأتوقف عندما اشعر بالتعب، أجلس وألعب بالحصى. كنت أطلق سمعي في كل الاتجاهات تارة أسمع أصوات طيور النورس وتارة أخرى أسمع ضربات الموج وأطلق بصري متأملا حولي لأرى جمال الطبيعة وجمال المباني. ثم قمت بالاستعداد لبداية متفائلة في الكلية الجديدة، وأنهيت إجراءات التسجيل. فأرسلتني موظفة الاستقبال إلى القاعة الجديدة وشرعت في مرحلة أخرى في مسيرة التعلم.

لم يكن هذا المعهد كسابقه من حيث الأريحية في التعامل والجو العائلي بل كانت المعاملة رسمية قليلا والجو تعليمي أكاديمي بحت. ما يميز المعهد الجديد عن القديم المباني والباحات الخارجية والمروج الخضراء التي تحيط فيه من جميع الاتجاهات. وكثرة الكليات وكثرة الطلاب النيوزلنديين « الكيويين ». (تشتهر نيوزلندا بفاكهة الكيوي وبطائر الكيوي الذي لا يطير، ولذلك أطلق على الشعب هذا الاسم).



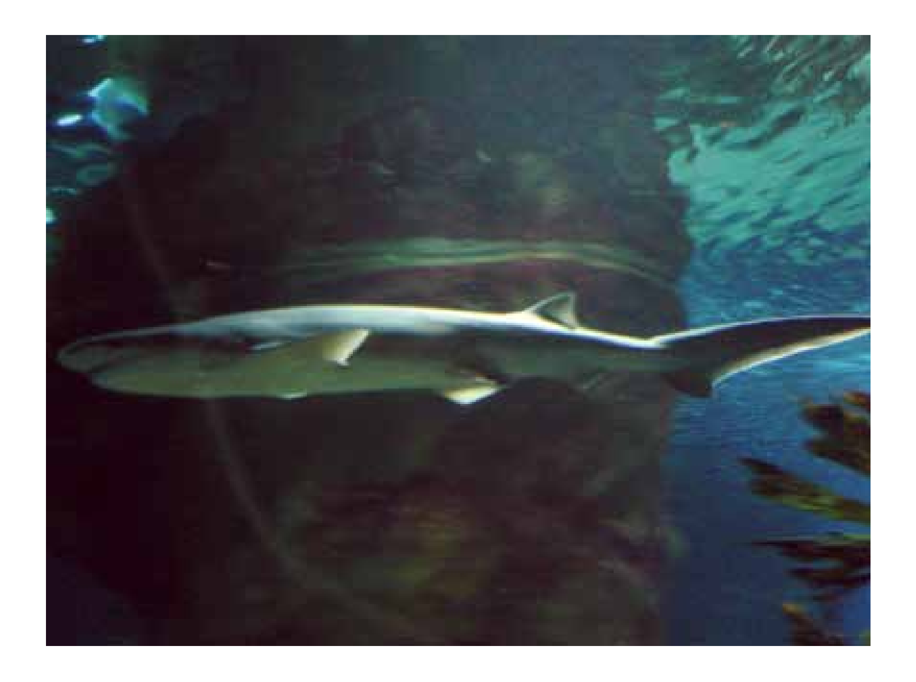
دخلت سريعا في جو الدراسة؛ فهدفي واضح ولن توقفني العراقيل اللحظية. العدد قليل داخل القاعة نحن خمسة طلاب من كوريا واليابان والصين وماليزيا والسعودية. في المعهد يوجد سعودي آخر صاحبي ماهر؛ فهو في مستوى متقدم من اللغة ، كونا ثنائيا متكاملا في تمثيل السعوديين .



انتهى الأسبوع الأول سريعا وفي نهايته أخذنا المسئول عن السياحة إلى مزرعة الذرة أو متاهة الذرة. هي عبارة عن حقل من الذرة في نهاية الموسم ، ولون أشجاره صفراء مقصوصة بطريقة احترافية. وقد قام ساكنو المزرعة بوضع طريقين للدخول؛ احدهما يستغرق ربع ساعة حتى نهايته ، والآخر قرابة الساعة. وهنالك

أختام في كل تقاطع لابد من استخدامها حتى تضمن أنك في المسار الصحيح. ننقسم إلى مجموعتين ومعنا أجهزة إرسال نتبادل فيها المزاح والتحدي نكون أنا وماهر في المقدمة. بسيطة هذه اللعبة بفكرتها ولكنها تحقق دخلا جيدا للعائلة المالكة فهم يجهزون المزرعة كل سنة بطريقة مختلفة. وقد سجلوا مزرعتهم في مركز السياحة في المدينة انتهينا من هذه المغامرة المسلية. وجلسنا نتحدث مع المالكين فأخبرونا أنهم سيقيمون أنشطة مسائية مرحة إن أحببنا مشاركتهم، ولكننا اخترنا العودة والاكتفاء بالمغامرة النهارية.

في بداية الأسبوع الثالث انتقلت أنا ورفاقي إلى المستوى الأعلى فازداد العدد إلى ٩ طلاب؛ الجدد ثلاثة يابانيون وواحدة من بولندا، مضت الأيام بسرعة إلى أن حدثت لي مشكلة لم أتوقع حدوثها، فهي مجرد تجن. وأنا لم أفعل أية حماقة في المعهد، ولكن وافق ذلك عنصرية إحدى المسئولات في الإدارة، فهي تبغض العرب. ولا أدري ما سبب ذلك فتوقعت أنها من خطط لتلك المكيدة، تقدمت طالبة يابانية بشكوى ضدي وتقول أن طريقتي جافة في التعامل معها. كانت الشاهدة في الشكوى الطالبة من بولندا فاستغربت من هذا الأمر. أنا رجل واضح في التعامل فكل ما هنالك ما يحدث من أنشطة داخل الصف ولم أرتكب أية حماقة تدعو إلى حدوث مشكلة. صدمني هذا الأمر كثيرا ولكن بتدخل من ماهر في الدفاع عني بفضل لغته الجيدة. وقبل ذلك طريقتي المعتدلة والحذرة في التعامل مع الآخرين. تجاوزنا الأمر بعد اجتماعنا مع المسئولة وإثبات أن ذلك تجن، بدون دليل، فما كان منها إلا أن تخاذلت وسحبت الشكوى.



أقترح علي ماهر أن أتقدم بشكوى بالذي حدث. ولكنني إنسان مسالم، وكل ما أريده العيش براحة وبمعزل عن المشاكل. لذلك فضلت الاستمرار في الدراسة ولكن بشيء من الضيق. فالتعامل بعنصرية هو من أبغض الأمور لدي، وكنت مجبرا على الصبر. هذا الموقف جعلني أعيد النظر في المعهد القديم حيث أني كنت متواصلا معهم وأحضر في اجتماعاتهم كل يوم بعد الدوام لألتقي بالشباب السعوديين هناك.

• • •

العاصمة ولينقتون



اجتمعت أنا وحامد في نهاية الأسبوع واخبرني أنه وفهد قد خططا للذهاب في رحلة إلى مدينة « بالمرستون نورث » وهي تقع في الجنوب قليلا ، وبعدها إلى «ولينقتون» العاصمة الحكومية يريدون الترفيه قليلا . وقال سنتشارك في التكلفة ويريدني لأن لدي سيارة وأحمل رخصة دولية . لم أكن أثق بسيارتي كثيرا ولكن اقترحت أن نستأجر سيارة فوافقوني على ذلك واتفقنا أن أفراد الرحلة أربعة (فهد وحامد وأنا وماهر) . فلما أن جاء اليوم الموعود جهزنا حقائبنا وانطلقنا إلى « بالمرستون نورث » مساءا . كان الطريق بالغ الوعورة وضيقا وفيه منحدرات خطرة . واجهنا أثناء السير حادث انقلاب شاحنة كبيرة ، ولفت انتباهنا التواجد الأمني وسرعة العمل حتى لا يتعثر الطريق ويحدث الزحام . كانت الطرق غير مجهزة جيدا ، ولكن هناك رجال مخلصون في العمل ، يقومون بواجباتهم على أكمل وجه . نستمر في الطريق حتى وصلنا سالمين . اتجهنا نحو الشقة لنرتاح بعد عناء السير فقد كانت المسافة قرابة الثلاث مائة كيلو . اتصلنا بهاتف السكن لمعرفة موقعه ، ثم وضعنا الحقائب في الشقة وخرجنا لتناول العشاء في أحد المطاعم في المدينة . مدينة صغيرة أغلب السكان فيها طلاب من جميع الألوان وتكثر فيها الحانات الليلية (وهذا غير مستغرب في مدينة أغلب سكانها طلاب) ، وفيها جامعة مصنفة تصنيفا جيدا اسمها «ميسي» . تناولنا العشاء في مطعم «ماكدونالدز» ثم قمنا بجولة حول المدينة لاستكشافها وتوقفنا بالقرب من حديقة وسط المدينة صورنا بعض الصور ثم عدنا إلى الشقة للنوم .

وفي الصباح قمنا على أهازيج الطيور والأجواء المنعشة ، وتناولنا الإفطار في

السكن ثم خرجنا بعد أن حزمنا الحقائب. كان هناك مهرجانا في وسط المدينة؛ في الحديقة التي زرناها بالأمس. وقد تم وضع الكثير من القواطع بعضها مطاعم وبعضها معروضات من الملابس وغيرها.



وجدنا في أحد الأركان شبابا من الإمارات يقومون بتوزيع منشورات عن الإسلام ونسخ من المصحف. كانت البسمة مرتسمة على وجوههم والنور يشع من جباههم. ألقينا عليهم السلام وتحدثنا معهم قليلا، ثم واصلنا التجول في المهرجان؛ فسمعنا أناشيد بصوت أطفال عرب باللغتين العربية والانجليزية. كانوا يتحدثون عما يحصل في لبنان وفلسطين من أحداث وقتل شرس ثم قاموا بالإعلان عن حملة للتبرع لأطفال لبنان. وبعد ذلك خرجنا من المدينة باتجاه الجنوب قاصدين العاصمة «ولينقتون».



كانت تبعد قرابة المائتين كيلو متر طريق أغلبه جبلي ويمر الطريق بمحاذاة المحيط توقفنا في أعلى نقطة جبلية ونزلنا لتصوير بعض الصور. فالمكان قمة في الجمال؛ النهر يجري بين جبلين بالغين في الارتفاع، ثم نكمل الطريق بين هذه الجبال التي تغطيها الأشجار.



بعد ذلك تكشفت أطراف العاصمة وظهرت علامات التطور منذ الوهلة الأولى، الطرق الكبيرة والإنشاءات الضخمة والقطارات الكهربائية والبيوت المنتشرة على قمم الجبال والبنايات الضخمة الحديثة منها والقديمة. توقفنا في وسط المدينة، وبحثنا عن مركز المعلومات لكي نحجز شقة لهذا اليوم. أنهينا الحجز ثم تجولنا قليلا، يكاد لا يخلو مكان في طريقنا من المهرجانات والفعاليات المتنوعة. واتجهنا إلى السكن ودخلنا الشقة ثم قمنا بتبديل الملابس وخرجنا لتناول العشاء قبل غياب الشمس. وبعد ذلك عدنا وطلب مني حامد أن أجهز الشاي ثم بدأنا لعبة الكروت «البلوت» فقد تم اطلاق التحدي في هذه اللعبة بيننا. وجددنا التذكير

بالاتفاقية العريقة « ميثاق طويق » أكملنا حديثنا باللغة الانجليزية إلى أجل غير بعيد . فاقترح حامد أن نخرج لنكتشف المدينة في المساء . خرجنا وكان هناك حديقة جميلة بجانب السكن مررنا خلالها سريعا ثم سرنا نحو وسط المدينة ، ورأينا شارعا طويلا مليئا بالحانات؛ فهو يحوي قرابة المائة حانة ، أو تزيد ، والمكان يعج بالشباب من مختلف الجنسيات ، والمطاعم في كل اتجاه سرنا بمحاذاة هذا الشارع قرابة الساعتين أو تزيد . توقفنا في مطعم عراقي لتناول وجبة خفيفة ، وقضينا وقتا جيدا مع الأحبة من العراق . بعد ذلك سرنا عائدين إلى الشقة وفي الطريق رأينا لعبة فيها التحدي والإثارة فقال ماهر ما رأيك يا عماد أن نركب سويا . وافقت على التجربة .





كانت اللعبة عبارة عن ثلاثة كراسي لها مثبتات وأحزمة خاصة ومربوطة بحبل مطاطي بين عمودين طويلين يتعدى ارتفاعهما البنايات المحيطة. ركبنا ثم قام المسئول بالتأكد من ربط الأحزمة وبدأ العد التنازلي ثم تم قذفنا إلى السماء بقوة.

أحسست أننا رمينا من قاذفة صواريخ بدأنا الصراخ والضحك، وبدأت الكراسي تدور بشكل مقلوب. كان مشرف اللعبة يشد الحبال، ويطلقها لتزداد حركتنا صعودا ونزولا، ثم استقرت بنا عاليا وعادت بنا إلى الأسفل، وبعدها أكملنا طريقنا إلى السكن للنوم.



في الصباح ذهبنا إلى الميناء فحامد سوف يذهب بواسطة باخرة إلى الجزيرة الجنوبية قاصدا « كرايس تشيرتش » (أول مدينة أكتشفها الانجليز ودخلوا منها إلى الأرض الخضراء). ثم عدنا إلى وسط المدينة وقسمنا وقتنا إلى جزأين. الأول أن نصعد الجبل العالي وسط المدينة عبر القطار الكهربائي، والثاني أن نذهب إلى المتحف الكبير. فانطلقنا إلى الجبل وركبنا القطار وبدأنا الصعود بدرجة ميلان شديدة إلى أعلى، كان يتوقف في كل فترة لينزل سكان البيوت التي على الجبل ويركب غيرهم حتى وصلنا إلى القمة.



كان هناك حديقة وجامعة صغيرة في الأعلى، وعلى شرفة الجبل مكثنا طويلا نتأمل امتزاج الطبيعة بالتطور والمباني التاريخية، وفي مشاهدة البواخر التي تعبر المحيط إلى الجزيرة الجنوبية، وإلى كل العالم. رأينا البيوت الصغيرة على الجبل ومدى تباينها في الشكل. كان في وسط الجبل مقر لفريق كروي، والملعب مصمم بطريقة مميزة فهو مطل على البحر، قمنا بمشاهدة كل الزوايا في الجبل وقد أمتعتنا تلك المشاهد التي ليس لها مثيل.



بعد ذلك نزلنا واتجهنا إلى المتحف، ودخلنا برسم يسير. فرأينا في المتحف زوايا متعددة بعضها عبارة عن سيارات تراثية، وبعضها مراكب شراعية وسفن قديمة. وزوايا أخرى تشرح الحروب التي تمت بدخول الانجليز إلى نيوزلندا.

وزوايا تعرض التراثيات والملابس للسكان القديمين. وأخرى فيها الطيور والحيوانات البرية، والبحرية بشتى الأنواع. ثم توقفنا في الجزء الأخير عند الفرعون المحنط أو ما يطلق عليه «المومياء المصري» وقرأنا عنه الكثير من المعلومات. ثم خرجنا لتناول الغداء، وغادرنا ولينقتون عائدين إلى مدينتنا الغالية.



• • •

القائد فهد:

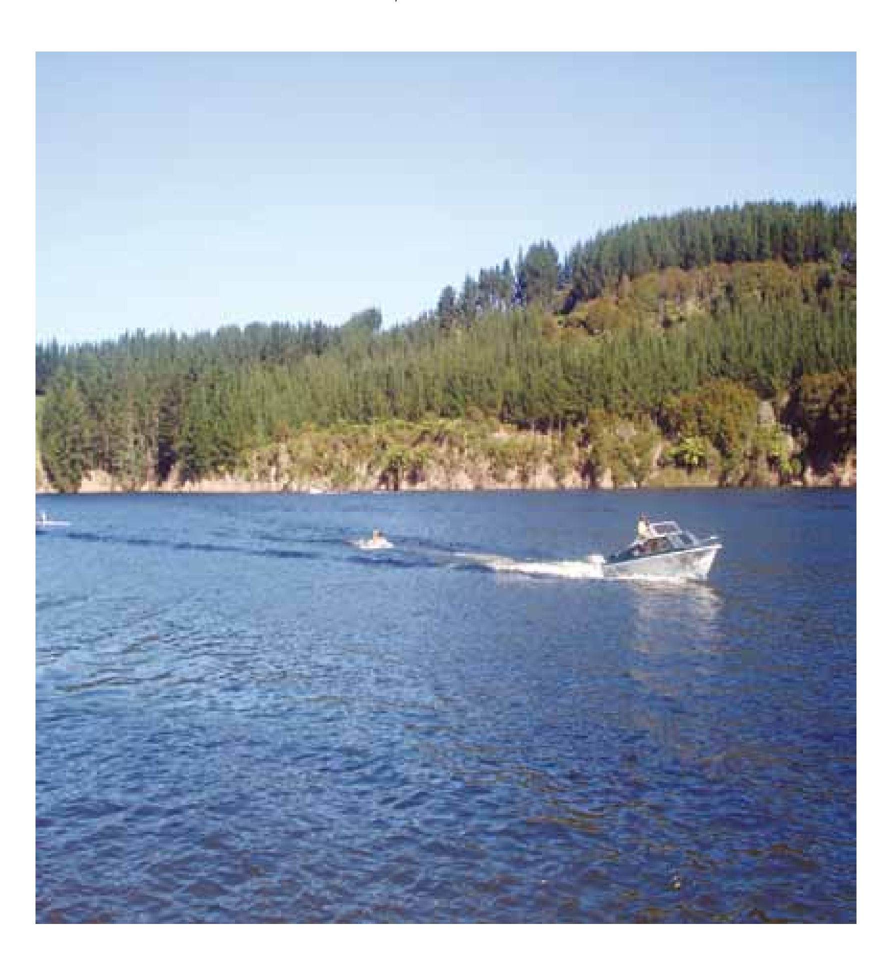


عندما تتعرف على صديق مميز فإنه سوف يغير كثيرا من اهتماماتك، وربما تحركاتك خاصة إن كان ذا شخصية مؤثرة وقيادية، وكم نحن بحاجة في هذا الزمان إلى أصدقاء يساندوننا ويساهموا في نجاحنا وسعادتنا، ويكونوا صادقين معنا، دوما.

نعود إلى الجو الدراسي ويغادر حامد صاحب الأثريات بعد شحن الكثير من القطع الثمينة إلى الديار. وفي نهاية الأسبوع أخبرتنا «كيسي» بقدوم أجازة رسمية مدتها أربعة أيام فاقترح فهد أن نستغل هذه الفترة بالذهاب إلى أوكلاند. اتفقنا على ذلك وبرفقتنا ماهر؛ فاعددنا لتلك الرحلة، وجهزنا ما يلزمنا وقمنا بحجز السكن.



فلما جاء يوم الانطلاق حزمنا الأمتعة وانطلقنا مرورا بتاوبو ثم المدينة الصغيرة «كامبريدج» ثم قمنا بتنصيب فهد قائدا ومرشدا؛ لرحلتنا بجانبي ومعه الخريطة. وما علي سوى أن أنفذ ما يقول. أثناء سيرنا رأينا متنزها محاذيا للطريق السريع، فتوقفنا لمشاهدته، وقد لفت انتباهنا العدد الكبير من المتنزهين الذي أحضروا معهم الدبابات والمراكب البحرية، قمنا بالتصوير ثم أكملنا الطريق.



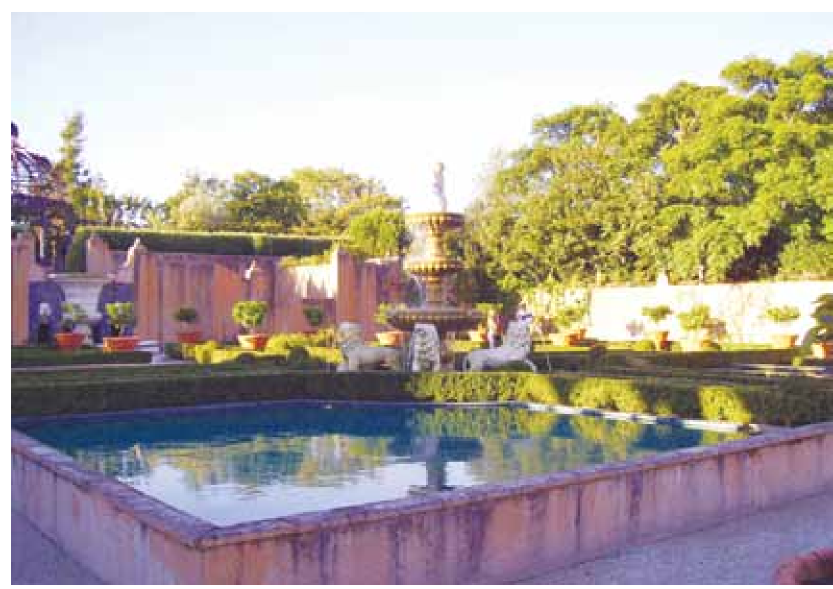


توقفنا في هاملتون للراحة، وتجولنا فيها، ثم تناولنا الغداء وأكملنا الطريق إلى أوكلاند. قاربنا دخول أوكلاند ولكن مداخل الطرق مزدحمة، يبدو أن هناك حادثا قد عطل حركة المرور فالطريق يحتوي خمسة مسارات، وبعد انتظار دام قرابة الخمس عشرة دقيقة تجاوزنا مكان الازدحام. ثم مررنا بجانب حديقة كبيرة؛ فقال لنا القائد ما رأيكم أن نتوقف لنرى الحديقة.













ركنت السيارة، وتجولنا في داخلها، ورأينا حدائق متنوعة مصممة كحدائق الكثير من الدول والحضارات (تقع الحديقة في مساحة كبيرة والزوار فيها من كل الجنسيات). ثم واصلنا سيرنا ودخلنا قلب العاصمة التجارية أوكلاند، مدينة تحتوي كل ما يمكن توقعه، وتعمل فيها المحلات كامل اليوم. عدد السكان فيها يقارب المليون نسمة وهي أكبر المدن النيوزلندية كثافة سكانية. وصلنا إلى السكن الذي أطلق عليه اسم الرحالة «الباكبيكرز» (عبارة عن بناية كبيرة تحتوي غرفا فيها أسرة مشتركة يسكنها الرحالة الذين يبحثون عن السكن الرخيص؛ فلا داعي للشقق المكلفة، وهذا النوع من السكن يناسب الشباب وهو منتشر في جميع مدن نيوزلندا) كنا نحرص على هذا النوع لرغبتنا؛ في محادثة الشباب في كل الأوقات. قام فهد بإعداد الخطة السياحية للأيام التي سنقضيها في أوكلاند؛ اليوم الأول صعود برج السماء «سكاي تاور» ثم الذهاب إلى الشاطئ الشمالي للمدينة، وفي اليوم الثاني رحلة لجزيرة «الواهيكي» واليوم الثالث الحديقة الكبيرة في منتصف أوكلاند، وباقي الأوقات تكون بالاتفاق. قضينا تلك الليلة مشيا على الأقدام؛ لنكتشف المعالم القريبة منا، كان موقعنا قريبا من جميع الأماكن السياحية في مركز البلد، وليس بعيدا عن الميناء البحري، وبعد تناول العشاء في المطاعم الواقعة على الميناء، عدنا إلى السكن لننعم بنوم هادئ.



مع بزوغ الفجر يتفانى القائد الفذ في انتشالي وماهرا من السبات العميق الذي غرقنا في وحله، وحثنا على أن نستغل كل الأوقات فاستيقظنا مجبرين على طاعة القائد. ثم خرجنا لتناول الإفطار في أحد المقاهي القريبة، وبعد ذلك سرنا نحو برج السماء، وأخذنا تذاكر الدخول وصعدنا إلى الأعلى؛ بارتفاع مائتين وعشرين متر. يكشف البرج جميع أطراف المدينة قضينا فيه فترة طويلة بين التحدث والمشاهدة والتصوير، ثم أمرنا القائد بالخروج للذهاب إلى الشاطئ الرملي الشمالي. ركبنا السيارة وانطلقنا إلى حيث نريد، تناولنا الغداء في المطعم المحاذي للشاطئ، ثم سرنا على طرف الشاطئ وجلسنا فيه. بعد فترة من الزمن تراكمت السحب في السماء وبدأ المطر بالهطول، فعدنا إلى السيارة ثم رجعنا من حيث أتينا، وقد تقرر

أن نأخذ قسطا من الراحة لإكمال البرنامج المسائي في الجهة البحرية للمدينة. بعد ساعتين من الراحة انطلقنا نجوب المدينة كان عدد السياح كثيرا جدا فلا تكاد ترى أحدا من النيوزلنديين وكانت الأغلبية من الآسيويين. دخلنا بعض المجمعات التجارية وجربنا بعض الألعاب، فاقترح ماهر الدخول لمشاهدة فيلم في السينما وافقنا على ذلك، واختار أحد الأفلام؛ ثم اتجهنا إلى قاعة العرض، وبعد الفلم خرجنا للعشاء ثم إلى السكن.







في اليوم الثاني سرنا مسرعين إلى الميناء لركوب العبارة المتجهة إلى جزيرة الواهيكي كان الجو غائما والرياح شديدة وبعد نصف الساعة وصلنا إلى الجزيرة. وركبنا إحدى الحافلات السياحية؛ فتجولنا في أطراف الجزيرة. كان المرشد يخبرنا عن كل جهة نمر بالقرب منها.





أغلب سكان هذه الجزيرة من أغنياء نيوزلندا يتم نقل سياراتهم بالعبارات والبيوت غالية التكلفة. تحتوي الجزيرة مزارع وسوقا مركزيا ومطاعم، وتتميز بطبيعتها الخلابة وشواطئها الذهبية. انتهت الجولة بالتوقف في وسط المدينة؛ فدخلنا أحد المطاعم لتناول الغداء ثم سرنا باتجاه الشاطئ كنا نحمل حقائب صغيرة فيها ملابس السباحة. كانت الأجواء جيدة فترة الظهيرة؛ فبدلنا الملابس وبدأنا السباحة في المحيط، ثم عدنا وقمنا بالاستلقاء على الشاطئ بعض الوقت.







ثم سرنا إلى مقهى قريب من الشاطئ، وشربنا الشاي، واتجهنا بعد ذلك إلى مكان توقف الحافلات؛ فقد قرب موعد آخر عبارة لهذا اليوم. أقلتنا الحافلة إلى المرفأ وانتظرنا العبارة حتى وصلت، ثم ركبناها وعدنا إلى أوكلاند. تزامن وقت عودتنا مع الغروب، فقمنا بالتصوير فمثل هذه اللحظات ربما لا ترى مرة أخرى. ولما وصلنا اتفقنا على تناول العشاء ثم النوم مبكرا بعد عناء هذا اليوم الساحر.




TURNING
TRAFFIC
GIVE WAY
TO PEDS
BACKPACKERS

وفي صباح اليوم الثالث تجولنا في وسط المدينة، ودخلنا بعض المعارض والمتاحف، وفي فترة العصر ذهبنا إلى حديقة كبيرة في منتصف المدينة تقع على مرتفع يكشف أطراف العاصمة التجارية، وقضينا فيها وقتا ممتعا.



اليوم الرابع موعد عودتنا إلى نيبيا، ولكن رأينا أن نذهب لرؤية المدينة الثلجية في جزيرة قريبة، قطعنا الجسر الواصل بين أوكلاند وهذه الجزيرة بالسيارة وبعد أن رأيناها عدنا سريعا لنغادر؛ فالمسافة ليست قصيرة إلى مدينتنا.



• • •

الاحتراف الكروي



استجدت بعض الأمور في أوضاعنا ، والمجموعة تغيرت قليلا ، ولم يكن الجميع على قلب رجل واحد ، وهذا غير مهم ، بل المهم هو التحصيل اللغوي والجدية في الدراسة . قمنا باختصار الكثير من اللقاءات وزيادة التركيز في المذاكرة .

في بداية أحد الأسابيع أتى شاب سعودي إلى المعهد القديم اسمه صالح ، ليس كبيرا ولكنه متميز في لعب كرة القدم ، ويمتلك مهارات عالية في المناورة . شجعنا ذلك لنلعب الكرة في حديقة قريبة من منزل فهد . كنا أربعة أفراد؛ أنا وفهد وماهر وصالح ، نأتي تقريبا يومين في الأسبوع ونلعب ، أما الشباب الآخرون قد كونوا مجموعتهم الخاصة ، واعتادوا الاجتماع في المطعم التركي ، وسط المدينة . في إحدى الأيام ذهبنا إلى الحديقة للعب الكرة فشاهد صالح كرة عالقة في شجرة كبيرة ، وأصر على إنزالها . قام برمي الكرة على الشجرة ثم رمى قطع صغيرة من الخشب عليها . وشاركنا معه الرمي فجاء معنا عدد من الشبان «الكيويين» ، امتلأ المكان بورق وأغصان الشجرة . جاء مشرف الحديقة وقال لماذا أحدثتم هذه الفوضى . قلنا له لا تقلق سوف ننظف المكان فقط نريد الكرة فأتى رجل ضخم يحمل بيده كرتين ليساعدنا وبدأ بركل الكرة على الشجرة وأعطانا واحدة لرميها . علقت كرة هذا الرجل أيضا فالتفتنا إلى صالح وقلنا أحرجتنا في هذا الموقف ، بدأ صالح برمي الأحذية حتى أنزلنا الكرتين وبقيت إحدى الأحذية معلقة ، وما هو مخجل هنا أن الكرة المتعلقة الأولى كانت أسفنجية . قدم الرجل صاحب الكرة وألقى التحية علي قال أسمي «دان» ثم بدأ يسألنا هل نحن مقيمون في المدينة ، وهل نحن نعمل أم ندرس ، ثم قال هل تريدون اللعب معنا في ناد رياضي . فقلت لم لا وسجلت رقم هاتفه الخلوي ، ثم اتفقنا على الحضور في وقت التمرين . بعد يومين

سمعت الهاتف يرن رقم دان ظاهر على الشاشة.

– دان: مرحبا عماد اليوم الساعة السادسة موعد التمرين.

. قلت له حسنا سوف أجمع الشباب ونأتي، ولكن أين مكان النادي؟

– دان: على طريق المطار في قرية صغيرة اسمها « بي فيو ».

. جمعت الشباب وأخذتهم، معي ثم اتجهنا إلى النادي.

كان فريق الفتيات يلعب في الملعب الرئيسي، فقال لنا المدرب أن تمرين الفريق النسائي في أول العصر أما نحن في المغرب ولكن اليوم هناك تمرين إضافي للفتيات، لذا سنلعب في الملعب الجانبي. بدأنا تمارين الإحماء وبعد ذلك الجري حول الملعب باستخدام كرة «الركبي» فرياضة الركبي أكثر شهرة من كرة القدم في نيوزلندا وأجسامهم تساعد على هذه الرياضة فمنتخبهم يصنف من أقوى المنتخبات. يقوم المدرب بتقسيمنا إلى فريقين؛ كل فريق يحدد أماكن لاعبيه، نبدأ باللعب، ومن الشروط أن لا نمرر الكرة بحركتين ومن يمسها أكثر من ذلك تنتقل الكرة للفريق الآخر، بدا واضحا على لاعبي الفريق عدم التركيز والتشتت في اللعب، يمتلكون قوة بدنية ولكن بدون مهارة. بعد نهاية التمرين حدد المدرب موعد التمرين القادم، وأخبرنا أن لدينا مباراة رسمية يوم السبت في مدينة قريبة اسمها « جسبورن» (تعتبر ثاني أجمل مدينة تشرق عليها الشمس في العالم ويأتيها المصورون من كل أرجاء المعمورة). علمنا أن الفريق بحاجة إلى لاعبين لإكمال العدد، وطلب منا المدرب صورا من الجوازات لتسجيلنا في الفريق كمحترفين بشكل رسمي، ثم عدنا إلى منازلنا. بعد يومين حضرنا التمرين الثاني ليس مختلفا عن السابق، ولكن دعانا اللاعبون إلى الذهاب إلى مطعم ومقهى على الميناء. قلنا سوف نذهب معكم ولكننا لن نتأخر، فعندنا الكثير من الدروس يلزمنا مراجعتها. ذهبنا معهم ولكن بدأ اللاعبون يشربون بعض الكحول، وقالوا اطلبوا ما تريدون على حسابنا. قلنا لا داعي لذلك فنحن لا نشرب، بدأت أنا والشباب بالحديث باللغة العربية، وقلت

يبدو أن الفريق « مضروب » سيء، وبعد دقائق قررنا المغادرة حتى موعد المباراة.

في يوم الجمعة اجتمعنا في المطعم التركي، وتناولنا العشاء، ثم ذهبنا إلى مقهى الاثنين وطلبنا الشاي وتناقشنا في أمور متعددة. وأوصلت فهدا إلى بيته؛ فبقي معي ماهر وقال لي أنا أشعر بالضيق وأرجوا أن تقوم بالدوران حول المدينة. أريد الترفيه قليلا، فقمنا بجولة في المدينة وفي طريق الرجوع سلكنا إحدى الطرق للعودة. قال لي ماهر عماد لا تذهب من هذا الطريق فهو خطر. قلت له لا تتضايق فنحن وحدنا فيه ولا داعي للخوف، وما هي إلا لحظات حتى رأيت سيارة مسرعة بطريقة جنونية خلفي تتبعها سيارة الشرطة. حاولت زيادة السرعة حتى لا ترتطم بي فلم أوفق. واصطدمت السيارة بسيارتي بقوة حتى قفزنا إلى الطريق المعاكس. وصادف ذلك شاحنة قادمة نحونا، ولكن بحكم أن سرعة هذا الطريق قليلة تمكنت من التوقف قبل الوصول إلينا. توقعت أنا وماهر أن هذه الليلة هي نهايتنا ولكن سلمنا الله ولم يصبنا إي مكروه. أما السيارة فقد أصابها ضرر كبير من الخلف، أكمل ذلك الرجل الهروب ولكن سرعان ما تعطلت سيارته في مكان غير بعيد. أوصد الشرطي يدي الشاب وأخذه إلى السجن، ثم قدم شرطي آخر نحونا حتى يطمأن على حالنا. قلنا لم يصبنا مكروه. فأخبرنا أن ذلك الرجل معه كمية من « الماريجوانا » المخدرة، والآن سوف نقلكم إلى منازلكم. وعلينا الحضور يوم الاثنين لمتابعة الأمر في الشرطة. لم استطع النوم بعد الحادث، والمشكلة الأخرى أن لدينا مباراة في الغد. قضيت بعض الوقت في تأمل موقفنا في هذا الحادث ثم أخلدت إلى النوم.

أفقت على اتصال دان وأجبت الهاتف. فقال يجب علينا الاجتماع في الساحة وسط المدينة حتى ننطلق في حافلة النادي. أخبرته بأمر الحادث. فقال هل أنت بخير. قلت نعم لم يصبني مكروه. فقال سوف آتي وأوصلك إلى مكان الاجتماع وعليك مكالمة البقية. قمت بالاتصال بفهد فاعتذر عن الحضور لأن لديه موعدا مع مدرس خصوصي، ثم اتصلت على صالح ولم يرد. فقلت لدان هيا إلى بيت صالح، لما وصلنا قفزت من فوق السور الصغير وبدأ الكلب المربوط النباح فتجاهلته وذهبت إلى الفناء الخلفي وطرقت النافذة حتى استيقظ، ثم ركب وانطلقنا إلى مكان الاجتماع. ركب الجميع ولكن لا يكتمل العدد فنحن عشرة لاعبين مع حارس المرمى وحتى لا يتأخر الوقت غادرنا إلى مكان المباراة. توقفنا في منتصف الطريق لتناول الإفطار، ثم ركبنا الحافلة وطلب دان من المدرب أن ندخل هذه المدينة. رأيتهم يتجهون نحو إحدى البيوت، فتوقعت أنهم سيأخذون أحدا ليلعب معنا أو شيئا من ذلك، ولكن حصل ما لم يكن أحد يتوقعه. فقد كان هذا الرجل يصنع النبيذ في منزله، وهم يريدون شراء قارورة منه لشربها في طريقنا إلى «جسبورن».

بعد هذا الموقف أدركنا أن هذا الفريق لا يتقن غير شرب الكحول وإلا لما اختارونا لنلعب معهم كمحترفين، وبدا لنا أن القادم سيكون أدهى وأمر. أكملنا الطريق واللاعبون يتسابقون لاحتساء المشروب واحد تلو الآخر، حتى عرضوا علينا مشاركتهم فرفضنا الشرب ولكن فضولنا دفعنا لأن نشم رائحة القارورة كانت كرائحة التوت ولون المشروب أحمر، فلو قدم لنا هذا المشروب بكأس لظننا أنه عصير طبيعي، ولكن نحن بالغو الحذر، في مثل تلك الأمور.



وصلنا إلى مقر النادي وكان هناك ملعبين للكرة، أحدهما يجري فيه الناشئون مباراة رسمية والآخر سوف نلعب فيه نحن الجو غائم ورشات المطر تهطل على استحياء، ذهب جميع اللاعبين لمشاهدة المباراة المقامة غير مكترثين في تمارين الإحماء. لما انتهت المباراة أمرنا المدرب بالذهاب لتبديل الملابس. لم يكن معي سوى حذاء عادي وليس مخصصا للملاعب العشبية، والفريق لا يوجد عندهم حذاء يناسبني. بدأ لاعبو فريقنا بتسديد الكرة نحو المرمى، وركلها من الأطراف لضربها بالرأس، وبعد مدة قدم المدرب وجمعنا في المنتصف فأتممنا بعض التمارين الخفيفة. كان المدرب مصابا في قدمه، وقد أراد مشاركتنا اللعب لإكمال العدد؛ لولا الإصابة.

أتى حكم المباراة إلى ارض الملعب، وأمرنا أن نستعد لبدء المباراة. وطلب رجل الخط من اللاعبين رفع الأحذية ليتأكد من عدم وجود قطع حادة في أسفلها، ثم

توجه كل لاعب إلى مركزه (صالح رأس حربة وأنا ظهير أيسر) . أطلق الحكم صافرة البداية بدأ اللاعبون بالتمرير فيما بينهم ثم اختلط الحابل بالنابل واللاعبون في فريقنا تقدموا في منتصف الملعب، وتركوا مراكزهم . بقيت أنا في الخلف، وصرت ألعب كقلب دفاع، ارتدت الكرة هجمة مرتدة وصرت أنا وبنيتي الضعيفة مقابل لاعب كبير الحجم . حاولت قطع الكرة ولكن أبى ذلك الشرس؛ فارتطمت ركبته في عضلة فخذي وكان ارتطامه أشبه بضربة فأس . هويت على الأرض والألم يعتصرني فاحتسب الحكم خطأ لصالحي ولكن المشكلة أن تلك الضربة أعاقت حركتي ولا يوجد بديل . استمرت الهجمات تتوالى علينا، والأهداف تنهمر من كل الاتجاهات وفريقنا قد أعياه التعب؛ فتوقفوا في المنتصف حتى أشفق علينا الحكم، وأنهى الشوط الأول بنتيجة أربعة إلى صفر للفريق المقابل .



لاحظنا أنا وصالح خشونتهم في اللعب، والحكم لا يحتسب الكثير من الأخطاء. يبدو أنهم معتادون على لعب الركبي، أو أن بنيتنا ضعيفة جدا، مقابل أجسامهم القوية. أخبرت المدرب أنني لن أستطيع إكمال المباراة ولكنه يجبرني على اللعب، أعطانا النصائح للشوط الثاني ويغير بعض الخانات ثم نعود للملعب وقبيل بداية الشوط الثاني يهطل المطر وبعد دقائق معدودة يعلن الحكم بداية النصف الثاني من المباراة، يستميت فريقنا للوصول إلى مرمى الفريق الآخر دون جدوى وفي كل مرة تقطع الكرة، ويأتون نحوي وأنا أتلافى الاشتراك معهم والألم يزداد فيضيف المنافسون ثلاثة أهداف أخرى، وفي نهاية المباراة ينطلق احد لاعبي فريقنا ويسدد الكرة من مسافة بعيدة ليسجل هدفا يحفظ ماء وجهنا؛ فينهي الحكم اللقاء نصافح الفريق المستضيف، ونهنئهم بالفوز ثم نخرج إلى غرفة تغيير الملابس، مكثنا دقائق وإذا باللاعبين قد خلعوا ملابسهم ثم ذهبوا للاستحمام معا أما أنا وصالح فتوجهنا إلى غرف أخرى مستقلة لتغيير اللباس، عدنا إلى الصالة الرئيسة فوجدنا علب شراب الشعير بالكحول بيد كل لاعب، ما هذا الحظ السيئ الذي رمى بنا مع هؤلاء المدمنين، فلما خرجنا أصر إداريو النادي على استضافتنا في مطعم النادي وافق المدرب على ذلك وتبعناهم إلى المقر، كنت أجر قدمي على الأرض، وقد بلغ الألم منتهاه، أشعر أنني في أية لحظة سأفقد الوعي دخلنا وتناولنا المأكولات التي ليس فيها ريبة أو شكا، ونسأل عن كل صنف نريد تذوقه، تكفل النادي بمشروب مجاني لكل لاعب، فلم نجد أنا صالح غير الماء فبقية المشروبات تحتوي الكحول، بعد أن فرغنا من الطعام أقام النادي لعبة ميسر مصغرة تدفع مبلغا رمزيا على رقم ثم يقوم طفل صغير بتدوير لوح خشبي حتى يتوقف على الرقم الذي يفوز، لم يعجبنا الأمر ولكن ما بيدنا حيلة إلا الانتظار، أثناء تلك اللعبة الجميع يشرب الكحول أما فريقنا فمقابل كل واحد عدد كبير من زجاجات الشراب، انتهت اللعبة وأنا وصالح غير مصدقين بالفرج ثم خرجنا إلى الحافلة.

ركبنا وغادرنا المكان فطلب احد اللاعبين التوقف في السوق المركزي لشراء المشروبات قبل المدرب ذلك، ونزل ومكثنا في الحافلة ننتظره حتى يعود لما عاد محملا بالكراتين من المشروبات ذهلت أنا وصالح وأيقنا أننا هالكون لا محالة هذه الليلة، استغرق طريق العودة ثمان ساعات بين توقف للتدخين، و قضاء الحاجة، والكؤوس تقرع في كل لحظة أما أنا وصالح في مؤخرة الحافلة نبتهل إلى الله أن لا يعاقبنا فتكون نهايتنا مع هؤلاء القوم كان الجو باردا جدا وأنا اشتكي من الألم في فخذي، وكل ما نحلم به هو الوصول بسلام، يقرر اللاعبون التوقف في منتصف الطريق للدخول في إحدى الحانات ليكملوا الشرب؛ فقد فرغت الكراتين مما فيها دخلوا الحانة وأنا وصالح جلسنا ننتظرهم في الحافلة اسمينا تلك الرحلة «رحلة التعذيب» أثناء الطريق كنا نعد العلب التي يشربها احدهم وقد بلغت خمسا وعشرين علبة وما زال مستمرا وفي نهاية الطريق ثمل أحد اللاعبين وطلب إيقاف الحافلة بالقوة، فنزل وصرخ في وجه المدرب وقال أنت سبب خسارتنا لهذا اليوم فأنت مدرب فاشل نزل المدرب إليه وقام بالرد عليه بصوت عال، ظننا أنهم سيتشاجرون هنا ولكن يبدو أن عقل اللاعب قد عاد، وركب ثم أكملنا سيرنا حتى البيت الذي اسكن فيه كان صالح خائفا حينها فاختار النزول معي. لم استطع النوم تلك الليلة من شدة الألم، وشدة البرد، حتى طلع النور وشعرت بالدفء قليلا، ثم غرقت في نوم عميق.

اجتمعت مع الطلاب السعوديين في إحدى الليالي وحدثتهم عن رحلتنا المتهورة مع النادي ، ثم افترقنا وقضينا نهاية أسبوع هادئة . في صباح يوم الاثنين استيقظ مبكرا « امتطيت فرسي » أقصد ركبت دراجتي إلى بيت ماهر؛ فقد اتفقنا على الذهاب معا بالدراجات ، سرنا إلى المعهد قرابة الخمس وأربعين دقيقة ، دخلنا إلى القاعات وأكملنا دراستنا ثم خرجنا لنذهب إلى قسم الشرطة ، لكي ننهي أمر السيارة . أثناء خروجنا كان المطر ينهمر؛ بشدة فاضطررنا إلى ركوب الدراجات والسير بسرعة . ترطبت ملابسنا من المطر الغزير ، وكنا في مواجهة قوية مع الهواء الشديد ، ونحن نتسابق ، وكل واحد يشجع الآخر باللهجة العامية « لا يوقف ، لا يوقف » . رأيت سيارة معروضة للبيع على الطريق فدونت الرقم ثم واصلنا السير حتى وصلنا ، ودخلنا قسم الشرطة . فقالوا لنا يجب أن نراجع شركة التأمين فهم المسئولون عن الأمر ، والسجين قد أطلق سراحه حتى موعد المحاكمة ، فقد كان لا يحمل رخصة قيادة وليس على سيارته تأمين ، وعليه قضايا سابقة . خرجنا ، واتجهنا إلى شركة التأمين . فقالوا الأمر سيطول ونحن نقترح أن تبيعوا لنا السيارة بنصف القيمة ونحن سنتابع القضية . تشاورت أنا وماهر ثم رضينا مكرهين بذلك ، قمت بحفظ المبلغ مع مصروفي الشهري في المصرف وطلبت من والدي تحويل بعض النقود حيث أنني بحاجة ماسة ، ثم اشتريت سيارة رخيصة أخرى فالمكوث هنا يستحيل بدون سيارة .

لعبنا مع الفريق مباراتين في المدينة نفسها ، ثم أخبرنا أحد المدرسين أن سمعة الفريق سيئة جدا وبعض اللاعبين فيه يتعاطون المخدرات . فقررنا الانسحاب من الفريق حتى لا تنتهي رحلتنا الدراسية في سجون نيوزلندا .

• • •

رحلة توديع ماهر



في يوم من الأيام قال لي ماهر سأنهي رحلتي وأعود إلى الديار، ولكن قبل ذلك أريد أن نذهب معا في رحلة قصيرة ونصطحب فهدا وصالحا. لم أمانع رغم الضغوط المالية ولكنها فرصة قد لا تتكرر. حددنا تاريخ الانطلاق وحجزنا السكن قبل ثلاثة أسابيع منه حتى نستطيع توفير مبلغ مالي يساعدنا في رحلتنا.



في اليوم المتفق عليه تم الانطلاق إلى «تاوبو» القائد فهد بجانبي وصالح وماهر في الخلف وصلنا ثم اتجهنا إلى مركز المعلومات، فالقائد يريد بعض الخرائط لتخطيط رحلتنا، ثم ذهبنا إلى الشلالات واختار فهد الركوب في مركب التعريف بالشلال. رافقته أنا وصالح أما ماهر فلم يركب معنا، لأنه يريد القيام بأمر آخر، وانتظرنا حتى عدنا.



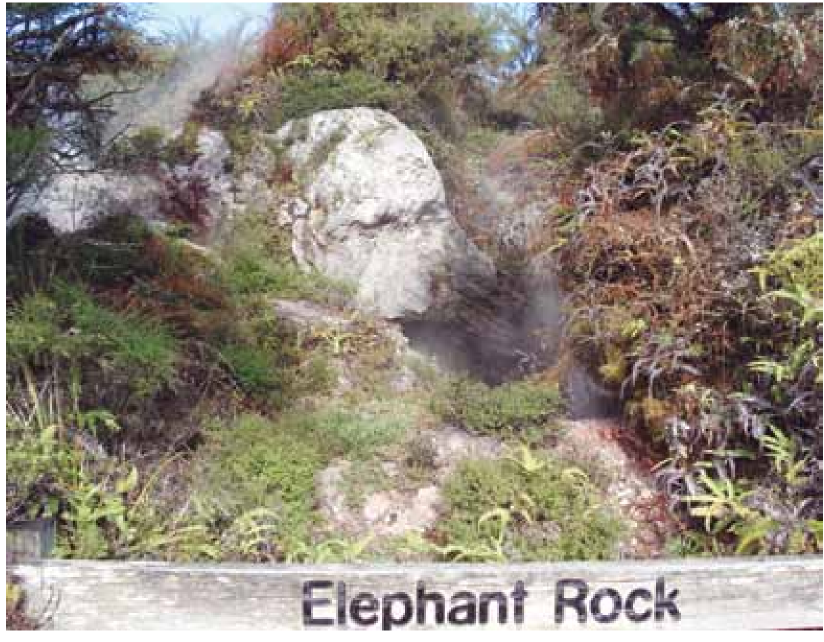
ثم سرنا إلى شرفة مطلة على أحد الأنهار في المدينة، فماهر يريد تجربة القفز من جسر معلق على جبل بعلو تسع وأربعين مترا. قمت بتصويره من مكان المشاهدة وانتظرنا ماهر حتى قفز وهو مربوط بحبل مطاطي، تردد فيه صعودا ونزولا، حتى استقر في النهر. ثم ركب في قارب صغير وانتظرنا عودته على الممر. لما وصل قام

صالح بتهنئته على الشجاعة ونعتنا بالجبناء لعدم الاشتراك مع ماهر في هذه الفعالية. كان ماهر شديد السعادة حينها ويضحك بطريقة هستيرية ويقول «إبداع لا تفوتكم يا شباب» ويستجمع أنفاسه بعد الهرولة في الصعود ويخبرنا بشعوره أنه إنسان مختلف بعد هذه القفزة، بل إن دخوله في الماء والرجوع إلى الأعلى هو الخرافي في هذه التجربة. فتذكرت أثناء كلامه أول شهر لي في نيوزلندا عندما جربت مغامرة القفز من الطائرة وأن تلك القفزة هي من أعطاني دفعة قوية تساعدني في تحدي الصعوبات وطموحا أقوى لإنجاز وتحقيق الأهداف.

في اليوم الثاني من الرحلة صحونا مبكرا ثم أفطرنا وبعد الإفطار اتفقنا على زيارة جزيرة في روتوروا. ذهبنا بالسيارة إلى المركز المسئول عن الجزيرة، ودخلنا ثم اشترينا التذاكر. صعدنا إلى المركب وانتقلنا إلى الجهة الأخرى من النهر إلى الجزيرة. بدأنا رحلة الاكتشاف مستخدمين الخريطة التي قدموها مع التذاكر ومررنا في البداية، بجانب البيوت المصنوعة من الخشب، أو ما تسمى «الأكواخ» التي كان نصفها مدفون كما ذكرت سابقا.






Elephant Rock







ثم انطلقنا لاكتشاف باقي الأطراف، ومشينا فوق بحيرة تتصاعد منها الأبخرة عبر جسر خشبي يكاد يلامس سطح البحيرة، ثم وجدنا صخرة أطلق عليها صخرة الفيل، وهي متشكلة بشكل الفيل. واصلنا السير حتى رأينا مغارة كبيرة في وسط الجزيرة فنزلنا إلى أسفلها، باردة جدا ومظلمة إلا من الضوء القادم عبر مدخل المغارة، ثم عدنا وأكملنا المشي حتى شاهدنا كل أجزاء الجزيرة. كانت الأشجار بالغة الخضرة وكانت الطبيعة فيها مذهلة والهدوء غالب على المكان، إلا من صوت شلالات الماء وصوت غليانه في الحفر البركانية. ثم سلكنا طريق الرجوع إلى المرفأ وانتظرنا حتى أتانا المركب وعاد بنا.

خرجنا عائدين إلى تاوبو وفي الطريق رأينا لوحة تدل على مكان تقام فيه طقوس «الماوريين» فتوقفنا ودخلنا. أخبرونا أنه من الأفضل لنا أن نأتي مساءا؛ لأن الاحتفالات تكون ليلا. ولكن قلنا لهم أننا نريد رؤية المكان، دخلنا ورأينا بعض طيور الطاووس والوعول، أسرعنا في المشي حتى وجدنا بركة ماء وخلفها جدول مائي صغير. فجلسنا على العشب لنرتاح ولعبنا «البلوت» بجانب الجدول ثم خرجنا.





بعد ذلك اخترنا الذهاب إلى مركز ألعاب في المدينة ولعبنا فيه « حرب الشوارع» داخل بناية صغيرة. ألبسونا فيها لباسا خاصا فيه جهاز إلكتروني يطلق بعض الأصوات، ومعنا أسلحة رشاشة مشحونة بعدد من الطلقات ويجب علينا أن نصيب أهدافا محددة، وبعد نهاية اللعبة نأخذ النتيجة لنرى من هو أفضل رام، انقسمنا إلى فريقين، وانتشرنا داخل البناية ننتقل بين الغرف وخلف السيارات نختبئ حتى لا يصيبنا الفريق المنافس وقد حدثت انقلابات أثناء اللعب، ثم خرجنا منهكين متعبين لنرى من هو أفضل رام بيننا. كان الفائز هو ماهر؛ فخرجنا من المركز وقد حان وقت الغروب فقررنا العودة إلى السكن لننام باكرا.



في صباح اليوم الثالث قصدنا مزرعة للخيول فجميعنا نريد ركوبها في الغابة. دخلنا مزرعة الخيول واتجهنا نحو مكتب الاستقبال وسددنا الرسوم وقام المدرب بتوزيع القبعات الخاصة بالركوب ثم اختار لكل واحد خيلا يناسبه، وقام بتعليمنا كيفية التعامل مع الخيول في الالتفاف والإسراع والتوقف. بلغ عدد المجموعة التي تريد الانطلاق إلى الغابة خمس عشرة خيالا. أعطانا المدرب التعليمات الأساسية، وأنه سيكون في المقدمة، ومساعدة المدرب ستكون في آخر المجموعة، وأمرنا أن نسير خلفه بصف واحد، فلا يتجاوز احدنا الآخر، أو يسير بجانبه حتى لا نفقد السيطرة على الخيول.



أطلق المدرب الصافرة وانطلق ونحن خلفه، صالح كان يمتلك فرسا في الديار وهو متمكن من هذه الرياضة فبدأ بالاستعراض ببعض الحركات ولكنه عجز عن تطويع الفرس كما يريد فهي مدربة على متابعة المدرب فقط. كل واحد منا يحمل «كاميرته» الخاصة واتفقنا على أن نصور بعضنا ثم نتبادل الصور، لاحقا. أكملنا الرحلة داخل الغابة صعودا إلى أعلى التل وتخلل رحلتنا بعض القفزات المفاجئة للأشجار، التي كانت تعترضنا، ثم انقسمنا إلى قسمين: نصف يعود إلى المزرعة ونصف آخر سيقوم بسباق سرعة داخل الغابة. اختار ماهر العودة، أما أنا وفهد وصالح فانطلقنا للسباق كاد فهد أن يقع من الخيل وأنا كذلك ولكن لطف بنا الله وتماسكنا حتى انتهت الرحلة بسلام.





ركبنا السيارة وانطلقنا إلى نهر نصفه ساخن تصل درجة السخونة فيه إلى الخمسين درجة مئوية، والنصف الآخر بالغ البرودة فقررنا نحن الثلاثة (أنا، فهد وصالح) السباحة. أما ماهر فاكتفى بالمشاهدة، ولما فرغنا سرنا إلى السيارة وانطلقنا قاصدين العودة إلى مدينتنا الجميلة نيبيا.



هذا الأسبوع هو الأخير لي في معهد الكلية، ولماهر في نيوزلندا فقد قررت العودة إلى المعهد السابق ولكن إلى مستوى أعلى هذه المرة لوحدي؛ فالآخرين في المستوى الأدنى. ماهر بدأ بترتيب الحقيبة وشراء الهدايا لأهله. وفي نهاية الأسبوع سافر مع العائلة إلى أوكلاند كهدية منهم له وأيضا هم يريدون قضاء يومين في أوكلاند.

• • •

احتفالات وولائم عربية



عدت إلى معهد « نيو هورايزون» أو المعهد العائلي كما أحب تسميته واعتذرت لهم عن رحيلي السابق وأخبرتهم أنني أنتمي إلى هذا البيت ، فمشاعري ستبقى منقوشة على القلب دوما . بدأت الدراسة بحماس وبراحة ليس لها مثيل ، وصرت فردا فاعلا في المعهد . تجدني مساعدا لجميع الطلاب ومرحبا بكل طالب جديد . أردت أن أكون مؤثرا وزرعت الايجابية والنظرة المتفائلة في الطلاب الذين يشعرون بالغربة ، وسعيت جاهدا لتحسين صورة السعوديين وإعطاء انطباع جميل عن بلدنا الإسلامي .

وفي أسبوع جديد كنت جالسا في الصالة الرئيسة ، رأيت طالبين جدد . دفعني الفضول للذهاب عندهم والترحيب بهم وقلت لهم أنا عماد من السعودية فمن أنتم . ومن أين أتيتم؟ فأجاباني أنهما جورج وسميث من جمهورية التشيك الشعبية . ثم دخل طالب آخر يدعى محمد من السعودية عمره صغير . سلمت عليه وجلس ثم قدمت لهم بعض النصائح وبعض رسائل التحفيز حتى يذهب الفزع الواضح عليهم ، وقد مررت بذلك الشعور من قبل . حدثت بعض الأمور في المعهد إحداها أن فارس صار يشرب الكحول وتعرف على أصدقاء نيوزلنديين وأحب إحدى الفتيات فكان قصده شريف وينوي طلبها للزواج . وبدأ بعض الطلاب من سويسرا يتعاطون « الماريجوانا » ويرتادون المقاهي الليلية . وبعض المراهقين من السعودية دفعهم الفضول لزيارة أماكن مشبوهة ولا أدري ما الدافع إلى ذلك . أما مجموعتنا فقد ظلت محافظة على الأسس السليمة في تجنب هدر الأوقات فيما لا تحمد عقباه . ولكي نتغلب على الروتين صرنا نتواعد في إحدى

المقاهي وسط المدينة ونلعب البلياردو وأحيانا الورق « البلوت » وبعض الأيام ندخل معا إلى السينما لمشاهدة آخر الأفلام .

المعهد استمر في وضع بعض الأنشطة اللاصفية التي تضيف جوا من المرح على الطلاب . وقد حددوا موعدا لإقامة عشاء جماعي للطلاب مع العوائل المستضيفة ، بحيث يقوم كل طالب بإعداد طبق خاص . كنا نتنافس مع الآخرين في الإعداد ، وبالنسبة لي أنا استفدت كثيرا من هذه الأمور؛ فقد أتقنت إعداد بعض الطبخات السعودية .



وفي إحدى الليالي تواعدت أنا وصالح وفهد على الالتقاء في وسط المدينة ذهبنا إلى الشاطئ ورأينا حركة الأمواج الشديدة التي تضرب ـ بقوة ـ على الضفة وكأنها تريد أن تلتهم كل من يقترب منها . عدنا إلى الشارع الرئيس ومررنا بمطعم سعد العراقي وقمنا بطلب وجبات خفيفة منه . ثم خرج سعد معنا وتشاركنا الحديث فقام بدعوتنا إلى الغداء نهاية الأسبوع ، قبلنا محرجين من كرمه . اجتمعنا في نهاية الأسبوع وذهبنا إلى بيت صاحبه الواقع على الواجهة البحرية ، وأعد لنا «المقلوبة» الكبسة العراقية فقضينا ذلك النهار نشرب الشاي ونتعارف أكثر ثم عدنا إلى بيوتنا . وفي الأسبوع الذي يليه أخبرتني « مارغ » أن ابنتها الكبيرة ستزورها نهاية الأسبوع القادم وعلي أن ابحث عن سكن بديل لمدة أسبوع . ثم أخبرتني في اليوم التالي أنه لا داعي لرحيلي فأنا صرت واحدا من أفراد الأسرة وبهذه المناسبة ذهبت إلى السوق المركزي في المدينة واشتريت باقة من الورد الطبيعي ، وقمت بشراء الدجاج لتحضير وليمة خاصة باستقبالها . في يوم وصولها جهزت الأكل ووضعته على طاولة الطعام ودعوتهم ليأكلوا ، أعجب الجميع بما قدمت وأكلوا كثيرا تلك الليلة وشكرتني مارغ كثيرا على ما قدمت . مكثت ابنتهم عندنا قرابة الأسبوع ثم رحلت فهي تسكن في « كرايست تشيرتش » وكان برفقتها ابن صغير يبلغ السنتين ، وبنت عمرها سبع سنوات ، وقد لعبت كثيرا مع ابنها المرح .

وفي الأسبوع التالي دعاني أحد الشباب السعوديين الجدد كان اسمه وليد إلى بيته يريد أن أتعرف على عائلته وأن أساعده في بعض الأمور فلما زرته سعدت العائلة بوجودي معهم وكان لديهم ولد طيب اسمه « ستيفن » مبدع في التصميم ومرح جدا ، يدرس في كلية الرسم والتصميم . أعطيته رقم هاتفي حتى نلتقي في المدينة



وأثناء التحدث معه قرر أفراد العائلة تحديد موعد لكي أعد وليمة سعودية لهم. وفي الموعد أتيت إليهم فوجدت جميع الأغراض موجودة في المطبخ فبدأت الإعداد، ولما انتهيت وضعته على طاولة الطعام وبدؤوا الأكل. أحسست أني «حريف طبخ» ومن حسن الحظ أنهم يأكلون أي شيء المهم أن يجدوه جاهزا على الطاولة بدون تعب. التقينا بطلاب جدد وازداد عدد مجموعتنا وانضم إلى المجموعة وليد وطالب جديد اسمه عمر صديق مقرب إلى صالح، كررنا التجمعات أكثر من مرة ولعبنا الكرة مع طلاب في المعهد وفي إحدى المباريات أصيب عمر بكدمة في قدمه؛ فأخذه عيد إلى المستشفى في «هيستنقز» وقاموا بتجبيرها وأعطوه عكازا يستند عليها في المشي.

مررت الأيام ونحن مستمرون في الاجتماع والدارسة، وفي إحدى الأيام أتاني فهد واخبرني أنه وصالح وسعد يرغبون في الغياب من المعهد والذهاب إلى بالمرستون نورث للتسجيل في جامعة « ميسي ». وافقت على ذلك. وقبل يوم من السفر أتى إلي سعد وقال: عماد لماذا لا تجهز أوراقك وتسجل معنا فسوف ابحث عن شفاعة لك حتى يلحقونك في البعثة. فقلت له ليس الآن فهذه الخطوة ستكون بعد ثلاث سنوات أما الآن فأنا أرغب في تعلم اللغة الانجليزية.




Massey
University
Haere Mai, Welcome to
Massey University Palmerston North


Library
Lt Theatre
Business Studies
West
Old Main Building

اعتذرنا من المعهد وانطلقنا مبكرين إلى بالمرستون نورث فلما وصلنا اتجهنا مباشرة إلى الجامعة. قام الطلاب بتسجيل بياناتهم وتجميع الأوراق المطلوبة، ثم سلموها إلى مسئولة القبول والتسجيل، وخرجنا للإفطار وبعد ذلك دخلنا كلية إدارة الأعمال للإطلاع على القاعات. خرجت أنا إلى الردهة الجانبية ثم تبعني البقية، وغادرنا الجامعة ثم توقفنا في حديقة صغيرة على الطريق، وقمنا بتصوير بعض اللقطات ثم سرنا عائدين.





تستمر الأيام ونتعلم الكثير من الأمور يتقن بعضنا اللغة ونزداد معرفة في مدن نيوزلندا. أما الآخرون فيهيمون في الأرض بحثا عن المتعة، ويتناسون سبب وجودهم هنا. يترك فارس الدراسة لينتقل إلى منزل صديقته. كان معنا طالب يدعى حمد غريب في تصرفاته وكان يقول «أنا لا اصدق أن هناك أديان أو إله؛ فهذه كذبة كبيرة، ودائما ما يصنف نفسه أنه ليبرالي» لم يمكث طويلا في المدينة. رحل إلى هاميلتون فقد تعرف على مجموعة من الطلاب الأجانب الذين لا تعني لهم الدراسة كثيرا، فجل اهتمامهم منصب على الحفلات والكحول والرقص وتحديات السيارات، مع المراهقين وبدأ بتعاطي الماريجوانا. أتتنا أخبار عن طالب

سعودي مراهق يدخل السجن لابتزازه فتاة عن طريق الانترنت وآخر يرسل مجموعة من الماوريين لتكسير ناد ليلي في أوكلاند انتقاما لأنهم طردوه وشاب سعودي في العشرينات يقتل ويرمى في أحد الأنهار لأسباب محيرة. ولكن ما هو غالب أن الأوضاع جيدة والأكثرية من الطلاب مجتهدون في تحصيلهم العلمي.

• • •

مدينة الكرمندل



في إحدى الأيام اجتمعت أنا وفهد وصالح وسعد في المقهى المعتاد ولعبنا البلياردو فقال لنا سعد أنه يرغب بالذهاب إلى مدينة في الشمال الشرقي تدعى «الكرمندل» . وافقه الرأي فهد وقال أنها مدينة مشهورة بجمال طبيعتها؛ فهي عبارة عن جزر متفرقة . وقال أن فيها بحران مختلفا اللون ، فواحد يميل إلى الزرقة والآخر إلى الخضرة . اتفقنا على زيارتها وتكفل القائد المعتاد فهد بترتيب السكن هناك ، وفي الموعد المحدد انطلقنا باتجاه تاوبو ثم مررنا بمحاذاة روتوروا . بعد ذلك سرنا شمالا حتى وصلنا إلى تقاطع اليمين يقودنا إلى «الكرمندل» والشمال إلى هاميلتون أكملنا طريقنا الطويل إلى «الكرمندل» فهي بعيدة جدا وطريقها شديدة الوعورة .





وأثناء سيرنا اعترضتنا سحابة سوداء كبيرة ملأت السماء، وأخفت من ضخامتها نصف جبل عملاق ثم هطل المطر بغزارة شديدة، واشتد جريان الأنهار سبحان الله الخالق. توقف المطر وظهر الطيف بشكله الجميل؛ الذي أمتع أعيننا وأبهر عقولنا على الشاطئ الساحر. وصلنا في ساعة متأخرة من الليل إلى السكن ثم دخلنا إلى الشقة وغرقنا في سبات عميق.



أطل علينا الصباح بروح مشرقة بيضاء، وجسد فاتن نحيل وعيون صفراء مضيئة أشعرتنا بالدفء مع أهازيج جميلة من حناجر العصافير، وحركة الرياح وحفيف الأشجار. تناولنا الإفطار ثم خرجنا إلى مركز معلومات المدينة حسب تعليمات القائد. فهو يريد بعض الخرائط وبعض المعلومات عن الأماكن السياحية التي تستحق الزيارة. حتى يرتبها وينظم رحلتنا بطريقته الخاصة غير مستغن عن مشورتنا وأخذ رأينا. وضع جدول الرحلة، ثم قال الآن سوف نذهب في جولة سريعة إلى المدينة، وسنتوقف في بعض الشواطئ على الطريق، وبعدها سنعود إلى الميناء البحري ومنه إلى الجبل، في طرف المدينة لنركب القطار.













سرنا مسرعين لاستغلال هذا اليوم كانت المدينة صغيرة جدا تجولنا فيها بسرعة ثم أكملنا طريقنا إلى الشواطئ الرملية ، توقفنا في إحدى الشواطئ الساحرة ومشينا بمحاذاته فترة ليست قصيرة ، التقطنا فيه الكثير من الصور وتشاركنا المرح والمزاح معا ، ثم عدنا إلى الميناء البحري وفي طريقنا نحوه استوقفتنا جزيرة عجيبة مليئة بالبيوت من النوع الفاخر ، وقد كان العجيب في الأمر أن لكل بيت موقفا للمركب ومرفأ مستقلا . ثم أكملنا المسير إلى الميناء الذي امتلأ بالقوارب المتعددة الأشكال والألوان ، شيء قديم وشيء حديث ثم سرنا إلى الجبل في طرف المدينة .



وركبنا القطار البخاري الذي حلق بنا صعودا إلى هذا الجبل الكبير. أخبرنا قائد القطار عن كيفية إنشاء هذا القطار، ومن الذي قام بذلك، وكم عدد الأشجار فيه. فلما وصلنا القمة اتجه كل واحد منا إلى ناحية لالتقاط الصور، ثم عدنا إلى السكن للراحة، وخرجنا لتناول العشاء ثم رجعنا لننام مبكرين، فغدا لدينا برنامج حافل بالمغامرات الشيقة.







وفي الصباح اتفقنا على الذهاب في رحلة بحرية مع فريق الزوارق الصغيرة. ذهبنا إلى مركز المعلومات واشترينا التذاكر ثم قضينا بعض الوقت في لعب الكرة على الشاطئ المزروع، حتى قرب موعد الرحلة البحرية، فركبنا السيارة قاصدين الشاطئ الذي سنركب الزوارق فيه. وصلنا في الموعد المحدد، ثم اتجهنا إلى مكان تجمع الفريق. كانت الزوارق مجهزة وقام المدرب بتدريبنا على عدد من الحركات، لمعرفة أفضل طريقة للتجديف. ثم ركبنا في الزوارق كل اثنين في زورق ولبسنا الملابس الخاصة، وقمنا بوضع حقائبنا في المكان المخصص داخل الزورق. ركبنا البحر بسبعة زوارق نحن الأربعة من السعودية وبقية العشرة من أمريكا وأوروبا.







جلست أنا في المقعد الخلفي والتحكم كان عن طريقي فسعد قد رفض الركوب في الخلف مع أن وزنه أثقل. بدأنا بالتجديف وكانت العملية صعبة، وتحتاج إلى مجهود كبير ابتعد الفريق عنا مسافة بعيدة ثم توقفوا لانتظارنا. لما وصلنا بدأ المدرب بتقديم المعلومات التاريخية عن هذا المكان، وعن أول من اكتشف الجزر التي أمامنا. أكملنا التجديف ولكن ببطء حتى تجاوزنا مضيقا صغيرا بين الصخور، والمدرب يقدم لنا معلومات عن عمق كل مكان نمر فوقه، وبعض المعلومات العامة عن المكان. ثم توجهنا نحو جزيرة صغيرة واستوقفنا المدرب في الطريق لنرى النسور التي تدور فوق رؤوسنا وتنقض مسرعة فتغوص فترة طويلة لتصطاد السمك وحسب قول المدرب فإنها تغوص مسافة عميقة، ثم تعاود الطيران محملة بصيد ثمين. واصلنا التجديف إلى الجزيرة فاخبرنا المدرب باسم أول رجل نزل، هنا وقام بزراعة بعض الأشجار فيها. ثم قال الآن سوف نتجه نحو كهف صغير لندخل فيه بعض الوقت، سرنا خلفه ودخلنا الكهف. وبعد ذلك قال لنا المدرب تعالوا معي إلى الشاطئ سنتوقف قليلا لأقدم لكل واحد مشروبه الساخن الذي يفضله. فطلب من كل شخص أن يختار نوعا من المشروبات. اعتقدنا أنه يمزح ولكن ما إن وصلنا إلا رأيناه يخرج من حقيبته عدة مخصصة فأخرج منها الأكواب وشرع في تجهيز المشروبات. وقال سوف يستغرق التجهيز قرابة الربع ساعة، وعليكم أن تتجولوا في هذا الشاطئ، وتصوروا الصور التذكارية فهذا المكان من أجمل الأماكن في نيوزلندا.



أخرج صالح من زورقه كرة قدم ثم سرنا والتقطنا عددا لا بأس به من الصور وجلسنا على الشاطئ حتى أتى نحونا شابان نيوزلنديان ودعوانا لنعلب معهم الكرة . قام فهد بتصويرنا ونحن نلعب ثم عدنا لتناول مشروباتنا . شربنا على عجالة وقد كان اغلب الفريق في البحر بانتظارنا « عادي وسع صدرك » . ولما فرغنا انطلق الفريق عائدا ، وركبت الزورق بسرعة أنا وسعد ثم قمت بالتجديف وحدي؛ لأن سعدا يقول أنه متعب . تأخرنا كثيرا في طريق العودة ، ومن حسن الحظ أن فهدا جلس يتحدث مع المدرب فكان يضيع الوقت حتى وصلنا بسلام وقد خارت قواي من التجديف .

عدنا إلى وسط المدينة، وتناولنا وجبة خفيفة، ثم قال لنا فهد ما رأيكم أن نذهب لرؤية حديقة فيها شلال صغير ثم نعود. قبلنا رأيه وذهبنا إلى تلك الحديقة لم تكن قريبة ولكننا أردنا استغلال الوقت. بعد خروجنا منها قال لنا فهد انظروا معي الخريطة فهناك طريق مختصر يعود بنا إلى المدينة. قلت له أنت القائد فماذا ترى. قال لننطلق. أدرت المحرك وسرنا إلى الطريق المختصر. لاحظت أن الطريق ضيق ولكنني أكملت المسير، بدأ الطريق يرتفع صعودا على طرف جبل صغير وقابلتني شاحنة كبيرة فاضطررت إلى الوقوف حتى تمر، ثم أكملت المسير. انقطع بنا الإسفلت وبدأ الطريق يزداد وعورة والقائد يقول استمر فقد قاربنا على الوصول.



في منطقة جبلية والتضاريس ربما غير ظاهرة على الخريطة. يرد أظن أننا قريبون. ننزل من الجبل ونمضي في طريقنا، والأشجار العملاقة تغطي الطريق، فدخلنا غابة كبيرة نكاد لا نرى أثرا فيها لإنسان؛ ثم رأينا المحيط أمامنا. وقلنا ما العمل الآن هل نعود أم نواصل. فصرخ صالح بصوت عال «آه عماد». علامة نفاد الوقود مضيئة هذا ما كان ينقصنا في غابة مخيفة والبحر أمامنا وبدون وقود. فقال فهد «شكلنا بننام هنا» بين فكي حيوان مفترس. أضحك بصوت مرتفع وأقول لن يحدث شيء، وكل ما علينا فعله إذا توقفت السيارة النوم داخلها. بعد مدة رأينا بيتا خشبيا فقلت لا تخافوا يوجد سكان في هذه الغابة. ثم سرنا فترة فرأينا رجلا يهرول على الطريق توقفنا عنده. وقلنا نحن نريد معرفة كم المسافة المتبقية أمامنا للوصول إلى المدينة. فاخبرنا أننا الآن في منتصف الطريق. سألته هل يوجد في طريقنا محطة للوقود. قال تقريبا بعد عشرين كيلو. واصلنا طريقنا ومررنا بنهر صغير عبر جسر من ألواح خشبية قديمة. كان الجسر ضيقا جدا ولكنني واصلت السير ببطء حتى اجتزته بسلام. ثم عبرنا حقلا كبيرا مليئا بالأغنام وجدنا سيارة قديمة تسير معها. لما رآنا الراعي انعطف نحونا. ألقينا التحية وقلنا الوقود سينفذ فهل اقتربنا من محطة الوقود. قال أحمل معي قليلا من الوقود إن أردتم ذلك. ولكن يمكنكم الوصول إلى محطة قريبة. عليكم الإسراع فمع الغروب سوف تقفل. سرنا مسرعين نحوها ولما وصلنا وجدناها قد أقفلت. طرقنا النوافذ لعل صاحبها موجود في الداخل ولكن ما من مجيب. والآن ليس لنا إلا الاستمرار في طريقنا، وقد اشتد سواد السماء. بينما أنا أسير دخلنا مدينة صغيرة. فضحك فهد وقال ها هي مدينتنا. قلنا لا ليست كذلك فلم يكن الطريق إليها نفس طريق البارحة. قال بلى ولكننا الآن ندخلها من الجهة الأخرى. توقفنا في محطة الوقود وقمت بتعبئته ثم اتجهنا نحو مطعم قريب فنحن نتضور جوعا بعد هذه المغامرة. أكلنا العشاء ثم رجعنا إلى السكن منهكين بعد عناء هذا اليوم الشاق.



أفقنا من سباتنا العميق في الصباح مع هطول المطر بغزارة، وصوت الرياح وحزمنا الأمتعة ثم تناولنا الإفطار في الصالة الرئيسة وسلمنا مفاتيح الشقة وانطلقنا نجوب المدينة وفهد كان يقلب الصفحات ليختار لنا آخر فعالية سنقوم بها قبل مغادرتنا المدينة فوقع الاختيار على الحديقة المائية، توجهنا إليها، استفسرنا من مكتب الاستقبال عن الحديقة وماذا يوجد في الداخل فقالوا لنا يجب أن تروا بأنفسكم فقيمة الدخول رمزية، رضينا بما قالوا ودخلنا فيها.



في المدخل كان هناك بعض المجسمات المصنوعة من الفخار لعمال المناجم وهم يحتسون المشروبات الكحولية وفي مقدمة المدخل يوجد لوحة مكتوب عليها «خطر رجال يعملون» ضحكنا وقال فهد «سلم لي على الشغل». مشينا لاكتشاف ما تحويه الحديقة من أعمال مائية وجدنا في طريقنا دراجة هوائية تتحرك بواسطة قطرات الماء ثم رأينا ساعة مضبوطة حسب التوقيت المحلي والعقارب تتحرك عن طريق رشات الماء عبر صمام صغير. وقضينا في الحديقة وقتا جيدا ثم لعبنا ألعابا خفيفة وخرجنا قاصدين نيبيا الغالية.

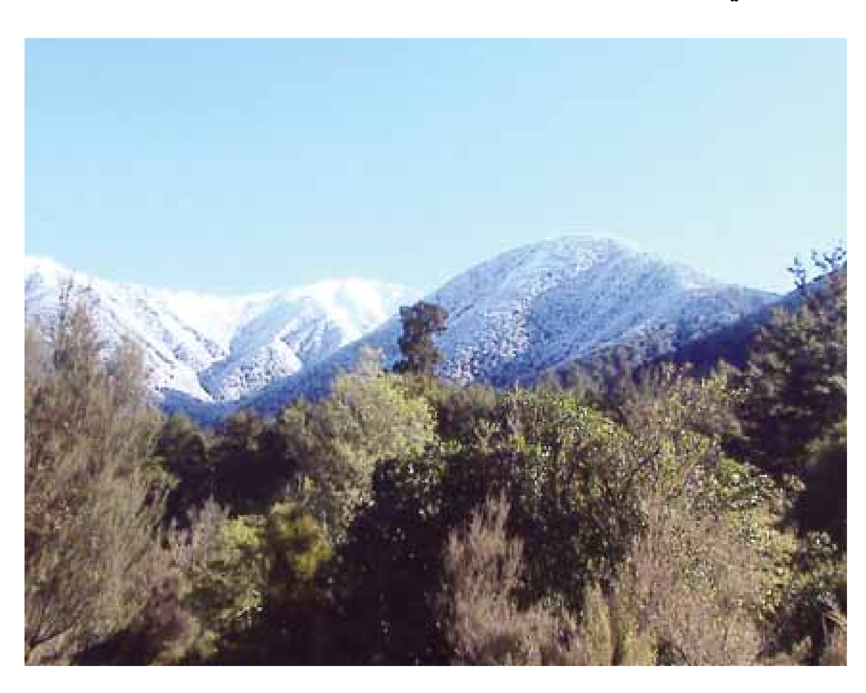
• • •


12
1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11

الجبل الثلجي



انقشع الظلام وبان النور من جديد؛ ليبدأ فصل جديد من الحكايات. في صباح موعد الرحلة بقيادة المشرف السويسري ونحن أعضاء الرحلة سبعة سعوديين ويمني في تاريخ مميز وشتاء شديد. اجتمعنا في وسط المدينة ثم ركبنا الحافلة واتجهنا إلى المكان المحدد. سرنا بين الأشجار مع إشراقة شمس الصباح وقد أعلنا التحدي لبلوغ القمة. رحلة نريد فيها المتعة والمغامرة وكل ذلك في سبيل رؤية الثلج يغطي الجبل العالي. الكل تأكد من جاهزيته واكتمال أمتعته.



حان الانطلاق سيرا على الأقدام ، بدأنا سويا ، ولكن دفعني الحماس للاستعجال بالسير وما هي إلا لحظات فأجدني بعيدا عن الجميع؛ رغبة وشوقا لبلوغ القمة . لم أعلم مدى صعوبة المغامرة بين الأشجار المرتفعة التي تحجب السماء . بدأت بالهرولة لتجاوز أكبر مسافة أستطيعها ولكن هيهات فما زال الطريق في البداية .



بدأ بياض الثلج بالظهور على الأطراف؛ فتوقفت لتصوير بعض الصور وجلست للراحة بعد السير الطويل . ثم بدأت أكتب على الثلج المتراكم ، وانتظرت الأصحاب ، ولكنهم تأخروا وبينما أنا انتظر إذا بالمشرف السويسري يصل إلي ويجتازني . فقد عزمت على انتظار أي صديق أشاركه الحديث حتى نقطع المسافة المتبقية سويا . وصل صاحبي العزيز فهد وارتاح قليلا ثم أكملنا السير حتى رأينا الشجر البالغ الخضرة وهو مغطى بالثلج . ورأينا الماء قد بلل الأوراق والأغصان فسبحنا الله على خلقه البديع ، وقمنا بالتصوير .

















أكملنا السير حتى ازدادت صعوبة الصعود والممرات أصبحت أضيق وأصبح الثلج يغطيها. ثم ازداد خطرها حتى عجزنا عن الصمود واقفين وخارت قوانا فما عدنا نطيق السير. استرحنا قليلا ثم انطلقت وحدي وتركت فهدا. فحماسي بدأ يدفعني من جديد، وتحديت الصعاب وصبرت حتى بلغت القمة فوجدت «كورت» ينتظرنا، وقلت له أن فهدا خلفي مباشرة، فقال: حسنا، سننتظره.





قادنا كورت إلى بيت صغير ، وقال إذا كنتما تريدان التدفئة فادخلا إلى البيت ، وقوما بتجفيف جواربكما حتى أقوم بتجهيز كوبين من الشاي لكما. كانت القمة في غاية الروعة ويصعب علي وصف مدى روعتها. وكان الثلج يغطي قمة الجبل والأشجار البيضاء والغيوم تراها في الأسفل.

• • •









لم يكن سيرنا لمدة تزيد عن الأربع ساعات؛ خسارة فعندما رأينا جمال الطبيعة نسينا التعب، ولعبنا بالثلج مع المشرف. وصل اثنان آخران وصرنا أربعة أعضاء من الفريق؛ أنا وفهد ومحمد وسعيد، وبقي في الأسفل أربعة أفراد، عجزوا عن الصمود. مغامرة كانت شيقة وقمة كانت هدف الجميع. وأخيرا لن أحكي عن كيفية الرجوع إلى الأسفل فالصعود قد كان أسهل.

• • •

كهوف وايتومو



في يوم الاثنين وكما هي العادة، بعد المعهد، اجتمعنا بالمقهى للترحيب بالطلاب الجدد وتحدثنا في كثير من الأمور. ثم جلست مع جورج وسميث الأصدقاء من التشيك وقاما بسؤالي هل الأفضل أن يشتريا سيارة يتنقلان فيها للسياحة ثم يبيعاها أم يستأجرا. فقلت لهما بما أنكما لن تمكثا مدة طويلة فإني اقترح أن تبحثوا عن أحد الطلاب الذين لديهم سيارة وتتفقان معه على زيارة الأماكن السياحية والمشاركة في التكاليف. ثم عرضت عليهما إن كانا يريداني أن اصطحبهما فلن أمانع، وإنه لمن دواعي سروري. قبلا مرافقتي وقالا نريد أن نذهب الأسبوع المقبل إلى مدينة تدعى «وايتومو» مشهورة بالكهوف. لم اعترض وقلت سيكون معنا صديقي فهد. فقال جورج لا مشكلة. واتفقنا أن نذهب في الغد إلى مركز المعلومات لنحجز السكن. وبعد المعهد ذهبنا جميعا إلى مركز المعلومات وحجزنا سكنا لأربعة أشخاص ودفعت أنا التكاليف. فقالا هل ندفع الآن قلت لا فسوف أدون كل التكاليف ونقسمها بيننا. اعتذر فهد عن مرافقتنا وقال أنه يريد المذاكرة فلديه امتحان تجريبي في المعهد، فرأيت أن اختار وليدا ليرافقنا، فقال: حسنا، ولكن سيكون معنا ستيفن قلت لا مشكلة.

وفي يوم الجمعة مساءا اجتمعنا والطلاب في المقهى وعلمنا أن غدا وبعد غد ستقام في المدينة فعاليات مهرجان الزخرفة الموسم الشتوي. قلت لجورج وسميث هل ما زلتما تريدان السفر أم نؤجله إلى وقت أخر. فقالا لا سننطلق غدا صباحا. قلت ممتاز إذن، احزموا الحقائب هذه الليلة لأننا سننطلق مبكرين. وفي آخر الليل قال لي وليد أنه لن يذهب معنا ولكن ستيفن سيرافقنا قلت حسنا. في فجر اليوم

التالي نهضت من الفراش مبكرا وحملت أمتعتي وخرجت إلى بيت ستيفن فركب وانطلقنا إلى بيت جورج وسميث وضعنا الحقائب في السيارة. ثم اتجهنا إلى تاوبو فهذه المدينة تقع في منتصف الجزيرة الشمالية ونيبيا على الشاطئ الشرقي ونحن نريد الاتجاه إلى الغرب. لما وصلنا إلى تاوبو توقفنا قليلا، وقلت لهم أنني أرغب في القفز من سفح الجبل. أخذتهم إلى المركز فقالوا يبدو أنك تمزح ولكنني كنت مصرا على خوض التجربة. حماس يدفعني إلى القفز منذ أن قفز ماهر. دخلت المركز ودفعت الرسوم، ثم دخلت إلى منصة القفز. قام المشرفون بربط أقدامي بالحبل المطاطي جيدا ثم قالوا لي هل تريد تقديم رسالة في الشريط. قلت نعم هذه القفزة إهداء إلى الأهل والأصدقاء في السعودية. سجلت رسالتي ثم وقفت على الحد ورأيت النهر تحتي مباشرة شعرت بقليل من الرهبة ثم رفعت رأسي إلى كاميرا التصوير للالتقاط الصورة وقفزت إلى النهر. كدت أن ألمسه بيدي ولكن الحبل أعادني إلى أعلى. ثم بدأت بالارتداد صعودا ونزولا وأنا في قمة الإثارة وأصيح ببعض الأهازيج التي احفظها. كان لصوتي صدى ينتقل عبر الجبال المحيطة، وكنت في سعادة ومتعة ليس لها مثيل. نعم كان الوقت قصيرا ولكن الشعور أثناء تلك القفزة لا يمكن قياسه بالوقت. عدت إلى الأعلى مهرولا ولما وصلت استقبلني الأصحاب بالتصفيق ودخلت إلى المركز. أعطوني شهادة شجاعة والصور ومقطع الفيديو، ثم غادرنا تاوبو متجهين إلى وايتومو. وصلنا وكانت الخريطة مع جورج ثم بحثنا عن السكن حتى وجدناه عبارة عن بيت ريفي يقع في وسط مزرعة بين جبال شاهقة. دخلنا إلى مكتب الاستقبال ثم أعطانا الموظف المفتاح وأدخلنا إلى السكن. وقال لنا حتى الآن لا يوجد غيركم هنا، فافعلوا ما تريدون ودلنا على غرفة النوم التي حجزناها وفيها أربعة أسرة.

أنزلنا الحقائب ثم خرجنا لاستكشاف المنطقة. ركبنا السيارة واتجهنا إلى وسط البلدة وجدنا مركز معلومات صغير ودخلنا فيه. وقلنا نريد بعض المعلومات

عن الأماكن السياحية هنا . ونريد الذهاب إلى الكهوف . فقال الموظف هذه البلدة صغيرة جدا . فعدد ساكنيها قرابة المائة فرد ، وبيوتهم عبارة عن مزارع منتشرة على الطريق السريع بين الجبال . وهناك ثلاثة كهوف في المدينة كل واحد له صفات تميزه عن الآخر . الآن يمكنكم الذهاب إلى كهف صغير . لن يستغرق ذلك وقتا طويلا فسوف يغلق مبكرا . وفي الغد يمكننا أخذكم إلى الكهفين الآخرين معا . وافقنا واشترينا التذاكر وقد تكفلت بدفع قيمة تذكرة ستيفن ثم دخلنا وقام المرشد في الكهف بتقديم بعض المعلومات التاريخية ، ثم انتقلنا إلى الداخل لكي نرى الكهف ، والتقطنا بعض الصور فيه ، ثم عدنا إلى السكن . بينما نحن جالسون في السكن قال سميث ما رأيكم أن نذهب إلى مطعم قريب حتى نتناول العشاء . قلت موافقين بشدة فجميعنا جائعون . خرجنا نبحث عن مطعم ولم نجد أي محل مفتوح عدا حانة على الطريق السريع . نزل جورج وسأل عن اقرب مكان يمكننا أن نذهب إليه . فقال له العامل توجد بلدة صغيرة تبعد قرابة الثلاثون كيلا من هنا فيها سوق مركزي . انطلقنا مسرعين والظلام والهدوء يعم المكان فالجبال العالية تحد الطريق من اليمين والشمال كان لونها أسودا قاتما وهي مليئة بالأشجار . ولا تكاد تسمع إلا صوت الرياح ونحن نسير وحدنا . وصلنا ودخلنا السوق المركزي وقام كل واحد بالتسوق . قمت أنا بشراء الكثير من الفواكه « والبيتزا » وعدد من المأكولات . عندما اجتمعنا في مكان السداد ضحك جورج وشاركه الضحك سميث وقالا لما كل هذا الطعام يا عماد . قلت لنا جميعا . قال سميث لا أرجوك أن تشتري ما تريد أنت فقط . قلت لا عليكم أريد أنا هذه الأغراض . عدنا إلى السكن وقام كل واحد منا بإعداد عشائه . قمت بتجهيز البيتزا لي أنا وستيفن أما جورج وسميث فقاما بإعداد « مكرونة سبكتي » . اجتمعنا على طاولة الطعام قام جورج بتذوق عشائه فلم يعجبه ورماه . قال له سميث انظر ماذا فعلت جعلتنا نشتري هذه المكرونة ورميتها ، الآن ماذا سنأكل . ابتسمت وقلت لا تكترثا فقد جلبت الكثير

من الأكل لنا جميعا. قالا: هل أنت جاد. قلت نعم وبكل سرور. خجلا من تصرفي معهم رغم أنني لم أقدم لهم شيئا يذكر. أكلنا معا وأحضرت الفواكه مع الأكل وبعد أن فرغنا من العشاء قمنا بترتيب المكان ثم جلسنا في الصالة الرئيسة نتحدث بكثير من المواضيع. كان سميث يعلم بعض المعلومات عن العرب لما رأيته مهتما جلبت الكمبيوتر وفتحت له بعض المقاطع من «اليوتيوب» وبعض الصور الموجودة لدي عن السعودية. بدأنا نشعر بالبرد، خرج جورج من الباب الخلفي للبيت فوجد قطعا من الحطب ولكنها كبيرة قليلا بحث عن فأس ثم بدأ يقطع الحطب ويقول أحب تقطيع الحطب فقد اعتدت على ذلك في الديار. ثم جلب لنا القطع ووضعها في الموقد وحاول أن يشعلها بدون فائدة. قلت ما رأيكم أن ننام. قالوا: رأي جيد. فخلدنا إلى النوم جميعا.

وفي الفجر استيقظت وجهزت فطوري، وقامت البقية بعدي وأعدت إفطارها ثم خرجنا. اتجهنا إلى مركز المعلومات في البلدة، وانتظرنا حتى وصلت الحافلة. ركبنا ورحب بنا المرشد السياحي أثناء السير، وسأل عن أسمائنا وبعض المعلومات الأخرى حتى وصلنا.



نزلنا من الحافلة ثم قادنا المشرف إلى مبنى حجري ، وأمرنا بالدخول ، بعد أن فتح الباب وقال: الآن سوف ننزل بعمق اثنا عشر مترا ، ثم ندخل إلى الكهف .











دخلنا ورأينا ترسبات الأحجار الجيرية على أطراف الكهف متشكلة بأشكال وزخارف في غاية الجمال (سبحان الله) . تعجبنا من طريقة تعليق الجسور ومن الإضاءة الخافتة الموضوعة باحتراف ، بحيث لا تؤثر على جمالية الكهف . قال المرشد أن الدراسات تقول أن هذا المكان كان مغمورا في المحيط منذ آلاف السنين ، وأضاف الكثير من المعلومات الجيولوجية والتاريخية . ثم انتقلنا إلى جزء آخر فيه كائنات حية ، تشبه الديدان ملتصقة في سقف الكهف تضيء إضاءة زرقاء وكلما توقفنا عن الحديث وجدناها تزداد إضاءة وبريقا وشكلها قريب من السرج الليلية ، ونجوم السماء . كان السكون يغلب على المكان ، فلا تكاد تسمع سوى قطرات الماء وصداها .



أكملنا سيرنا وأخذنا المرشد إلى مكان آخر في الكهف؛ فيه حفرة عميقة جدا ، لكي نسمع صوت جريان المياه الجوفية وأصوات كأصوات الرعد. ونزلنا بعد ذلك من خلال سلالم خاصة وبوابات كهربائية ، حتى وصلنا إلى نبع مائي أسفل الكهف. ركبنا في مركب صغير وانتقلنا إلى عدد من الجهات داخل الكهف. إحداها كانت تطل على مخرج فيه أشجار بالغة الاخضرار ، فاخبرنا المرشد أن في تلك الجهة تقام بعض الأنشطة الأخرى والمغامرات. وسرنا عبر ممرات من «الكريستال» في أطراف الكهف حتى وصلنا إلى الوسط؛ فتوقف المرشد وأطفأ المركب. ثم قال علينا الصمت قليلا حتى نرى السرج المضيئة مرة أخرى ، وقال من يريد التصوير فعليه أن يصور بدون وميض « فلاش » لأنه يقتل هذه الكائنات. قضينا قرابة الأربع ساعات بين هذه الكهوف العجيبة والتي اعتبرها من أعجب ما رأيت ، ثم خرجنا وانطلقنا عائدين إلى نيبيا ، منتهين من هذه الرحلة القصيرة.

• • •

قفزات التغيير



حياتنا تحتاج إلى قفزات ونقلات تكسر الجمود والخمول والملل، وتقضي على الروتين القاتل. نريد قفزات للتجديد والتغيير، وأخرى للتطوير، فإلى متى ونحن نرضى بالحياة البسيطة. لماذا لا نصبح علامة فارقة في مجتمعنا. لماذا لا نكون قدوة يقتدي بنا الشباب. يجب علينا خوض المغامرات والتحديات؛ لنبلغ السماء. نريد القيام بقفزات تدفعنا إلى الانجاز وتشعل فينا الطموح والإصرار، وتقوي عزائمنا وهممنا؛ كي نتربع على قمم المجد. وذلك ليس شيئا خارقا بل سهل جدا. فكل ما يلزمنا هو أن نتأمل في وضعنا الحالي وأمانينا ثم ندمج بين الاثنين؛ بحيث نكتب رؤيتنا إلى المستقبل الذي نريده ورسالة تكون نقطة الانطلاق. بعد ذلك نضع الأهداف التي تلائم ظروفنا الحالية، وأهدافا عظمى تدفعنا للتحدي. ثم نرسم الخطة التي سوف تسهل علينا الطريق وتنظيم أعمالنا وأوقاتنا لتتناسب مع هذه الخطة. وبعد أن نصل إلى كل هدف نقيم هذه المرحلة، ونكتب المخاطر التي واجهتنا، والفرص التي ساعدتنا، ونقاط قوتنا، ونقاط ضعفنا. فنقوم بمعالجة سريعة وتعديل لخطة الهدف التالي، وهكذا. لا تحتقر أي هدف تريده مهما كان، وتأكد أنك تسير في الطريق الصحيح، تكيف مع الظروف الخارجية، وتوقف إن واجهتك عقبات تعيق طريقك. وأنصحك حينها بالتفاؤل والابتسام، فما وجدت التحديات إلى لتختبر صبر الأقوياء. فهل ستصمد أم سترضى بالخنوع والضعف. حاول معالجة الأمر وتسخير كل جهد حتى تتجاوز تلك العقبات، ولا تكترث بكلام المثبطين؛ فلن يعطوك المجد، ولن يكونوا معك عندما تريدهم.

ذهبت للدراسة في بداية الأسبوع، وقابلني سميث وجورج في الصالة الرئيسة وشكراني على الرحلة وقالوا كم المبلغ المطلوب. قلت لا داعي لذلك فأرجو أن تتقبلوا تلك الرحلة كهدية صداقة. رفضوا وقالوا مستحيل أن نقبل بذلك. فقلت حسنا ادفعوا لي قيمة السكن مقداره خمسون «دولار» فقط أما التكاليف الأخرى فليس لها داع. قبلوا ذلك وقالوا لي أما نحن فندعوك في التشيك في أي وقت تريد الزيارة فقط اتصل وسنكون بانتظارك.

اجتهدت في دراستي فترة ثم رأيت أنني جاهز للانتقال إلى المستوى الأعلى، فأخبرت المعلمة بذلك. قالت نعم تستطيع وأخبرت هي المعهد حتى ينقلوني إلى المستوى المتقدم. قفزت إلى المستوى الأعلى بدون إجراء الاختبار. كان اليوم الأول شاق جدا في المستوى الجديد، وكان بالغ الصعوبة. فقد سمعت كما هائلا من الكلمات الجديدة التي لم اسمعها من قبل، والقواعد المعقدة والمتقدمة. ولكن المعلمة الرائعة «ليندزي» قالت لا تحزن يا عماد فأنا معك وسأساندك وأعيد الدرس حتى تتعلم. لم أكن طالبا كسولا ولا مهملا، قمت بتأدية الكثير من الواجبات وحاولت جمع كل كلمة جديدة. أذكر أنني في المستوى السابق كنت أدون قرابة الخمس كلمات جديدة، أما في المستوى الجديد فتضاعف العدد أكثر من الضعف، حتى تجاوز الثلاثين كلمة يوميا. لم أستطع مواجهة هذا الجهد. قالت لي المعلمة لا داعي لأن تعرف كل كلمة جديدة، ولكن الأمر ستعتاد عليه مع الممارسة. المشكلة التي واجهتني تواجه الجميع وهي رغبتنا في معرفة المعاني بعد الترجمة ولكن أثناء فترة دراستي للغة تعلمت أن هذه العملية لن تجدي كثيرا؛ فبمجرد عدم استخدامها فترة قصيرة ستمحى من الذاكرة. والذي يجعل الكلمات ترسخ في الذهن معرفة المعنى باللغة الانجليزية وأيضا معرفة استخداماتها، ومعرفة المترادفات والمضادات لها.

انتهى الأسبوع الأول بسلام وقضيت نهاية أسبوع هادئة، كانت عبارة عن يومين مخصصين للراحة، واستعادة النشاط. في صباح يوم الاثنين ذهبت إلى المعهد مبكرا ودخلت القاعة ثم كتبت « أهلا » باللغة العربية على السبورة وتحتها « welcome» ولمعرفة كيفية نطقها في العربية كتبتها بالحروف الانجليزية «Ahlan» لما حضرت المعلمة قرأت الكلمة وضحكت وقالت من الذي كتب هذه العبارة.

قلت أنا.

–المعلمة: ابتسمت وقالت من الجميل أن تعلمني العربية وأنا أعلمك اللغة الانجليزية.

فقلت لا بأس؛ فكل يوم لي هنا سأكتب لك كلمة أو عبارة جديدة.

مررت الأسابيع بسرعة وحضر معي في المستوى نفسه طالب جديد يدعى راشد من السعودية يدرس الطب يريد تقوية مستواه في اللغة. أكملنا الدراسة وكنت أرى حماسه الزائد في التعلم فقد كان عجيبا في مشاركاته السريعة ومداخلاته في الدروس وذلك سبب تذمر بعض الطلاب. فلسان حالهم يقول: الوقت لنا جميعا في الدرس، وليس له وحده. أمسكت به ذات يوم وقلت له أنصحك بأن تتروى قليلا، أعرف أنك متحمس للتعلم، ولكن الوقت في القاعة ليس لك وحدك فالجميع دفعوا مبالغ عالية للقدوم إلى هنا، وأرجو أن تقبل نصيحتي كأخ لك. فقال شكرا على اهتمامك وسوف أكون كما تريد.

مضت بنا الأيام وغادر فهد عائدا إلى الديار فافتقدت صديقا عزيزا لي قد ساندني في التعلم، وقد قضيت برفقته أجمل وأمتع الأوقات. لكنها الدنيا هكذا تسير، بين لقاء ووداع.

اشتقت كثيرا إلى القفز من طائرة ولكن منعني عن ذلك تكلفتها العالية . لم أجد شيئا يغنيني عن هذا الاشتياق سوى القفز من سفح الجبل . في إحدى الأيام قلت لراشد ووليد ما رأيكم أن تذهبوا معي لنقفز من قمة جبل في تاوبو . قالوا نعم نريد الذهاب إلى أي مكان تريد فنحن لم نرى غير نيبيا .



في نهاية الأسبوع انطلقنا إلى تاوبو ولما وصلنا، اتجهت إلى شلالاتها حتى يراها وليد وراشد، ثم ذهبنا إلى المركز المسئول عن القفز. أقنعت راشدا أن يقفز معي فدخلنا إلى منصة القفز في هذه المرة أردت القفز إلى الخلف. كان الإحساس مختلفا عن المرة السابقة شعور يصعب وصفه وقفز بعدي راشد. لما عدنا شاهد وليد مدى سعادتنا وابتهاجنا بما قمنا به، بعد أن رأى مقطع الفيديو المعروض في الشاشة قال أريد التجربة. دخلنا إلى المركز مرة أخرى ثم سدد الرسوم وذهب إلى منصة القفز. في هذه الأثناء ركضت مسرعا إلى أسفل الجبل حتى أقوم بتصوير وليد

لما وصلت سمعت صوته وهو على طرف الجسر يتشهد ويقول للمشرفة ادفعيني «دفيني» وصدى صوته يتردد بين الجبال ثم قفز وأنا اضحك بقوة، كان المشهد طريفا جدا. ثم ركب القارب وأتى نحوي وهو كالمجنون يقول رائع مذهل شعور لا يوصف ويطلب مني أن أعيره بعض النقود فهو يريد القفز مرة أخرى. وفعلا قفز ولكن الثانية تردد فيها عن القفز فكل مرة ينوي القفز يمسك بطرف الجسر حتى قامت المشرفة بمسك يديه ثم دفعته.

ثم عدنا إلى نيبيا وفي طريقنا قال وليد ضاحكا والآن ما الفائدة من تبذير هذه المبلغ من المال في مثل هذه الأمور. فقلت أنا لا أراه تبذيرا بل هي قفزات تولد الدافعية لديك حتى تتغلب على الصعوبات التي تواجهك في الحياة، هي قفزات تغير نظرتك إلى مستقبلك، هي قفزات تجعلك تعيد النظر في ماضيك، هي قفزات تجعلك تفرغ مشاعرك المكبوتة منذ زمن، هي وسيلة أجدها ناجعة في التغيير، وحافزا على الانطلاق؛ لذلك أنا لا أعتبرها تبذيرا.

ومع العودة في الأجواء الدراسية جعلت من القفز رياضة استخدمها في كل مكان كالقفز من الشجر والقفز في المنتزهات بأي طريقة. وفي كل مرة أقوم بها بالقفز أشعر بسعادة وبرضا عن ما أنا فيه. في إحدى الأسابيع جاء إلي سميث وقال هذا هو الأسبوع الأخير لي هنا وبعدها سأعود إلى التشيك فأريد أرقام هاتفك وبريدك الالكتروني. أعطيته الأرقام وكمفاجئة له أتيت في يوم تخرجه باللباس السعودي الرسمي حتى يلتقط الصور ويحتفظ بها للذكرى. عاد فارس إلى المعهد من جديد، وهو نادم على أيامه الماضية، وكيف أن فضوله وإعجابه الأعمى بثقافة الحرية المغلوط دفعه إلى ارتكاب الحماقات. عاد إلى رشده ليكمل الهدف الذي قدم من أجله.

• • •

رحلة صباحية



ما أجمله الصباح حين تستيقظ مبكرا وتخرج للتنزه في مكان ريفي ابعد ما يكون عن الازدحام، فلا هواء ملوث يعكر مزاجك ولا أبواق سيارات تجعلك متوترا مشدود الأعصاب. ما أجمله الصباح عندما تقوم بإعداد فطورك بنفسك وتشرب الشاي مسترخيا أمام نافذة مطلة على الطريق وترى الأطفال يسيرون إلى المدارس في يوم ماطر، وهم يحملون مظلات المطر. ممتع هو الصباح عندما تذهب إلى عملك أو جامعتك ماشيا على القدمين.

اقترح وليد أن نذهب في رحلة صباحية لنرى بعض الأنهار القريبة من المدينة. اتفقنا على الذهاب في نهاية الأسبوع واصطحبنا راشدا وعمرا. انطلقت باتجاه الجنوب الشرقي لم يسبق لي أن مررت بهذا الطريق من قبل. عبرنا عدد من الجسور الضيقة وسرنا بطرق ريفية قديمة بين الحقول، وبينما نحن نتجول سمعنا صوت جريان الماء، صوت جاذب يشعرك بالانتعاش دون رؤيته. توقفنا على جانب الطريق ومشينا نحو الصوت، فرأينا جدولا مائيا ساحرا صغيرا مليئا بالأشجار ولون العشب فيه بالغ الخضرة. ثم رأينا في نهايته شلالا صناعيا قام أهل القرية بتجهيزه بطريقة بسيطة ومتقنة، فعندما تراه من أول مره تظن أنه شلال طبيعي. سرنا على طرف هذا الجدول واستنشقنا الهواء النقي واستمتعنا بالمنظر البهي. كنت أمارس رياضتي المفضلة أتسلق الأشجار وأتعلق فيها وأقفز من أي مكان مرتفع وألتقط الصور للمكان وراشد يصور حركاتي المضحكة.













عدنا إلى السيارة وأكملنا الجولة فرأينا بيتا ريفيا كبيرا يعرض جلود البقر للبيع . فقال عمر لنتوقف في هذه المزرعة ، ونرى ما لديهم من مشغولات يدوية . دخلنا المزرعة ونزلنا لنشاهد المعروضات ، كان لديهم عدد من الأعمال ولكن أسعارها مرتفعة ، جدا ، وخصوصا جلود البقر . لما رأينا ذلك ركبنا وخرجنا من المزرعة . رأيت إحدى البوابات الخشبية فقلت لراشد تعال معي أريد التصوير وأنا في الهواء . تسلقت البوابة وقلت له سوف أعد إلى ثلاثة واقفز وأنت عليك تصوير القفزة . قام بتصويري في الهواء كما أردت . أعجبتني الصورة كثيرا فالشعور بالسعادة واضحا على وجهي ثم أكملنا سيرنا . في الطريق رأيت الجبل الكبير الفاصل بين نيبيا وهيستنقز فقلت سوف نذهب إلى القمة . لم يبدوا أي اعتراض؛ فاتجهت إليه ، كانت الطريق وعرة ، والمنحدرات خطيرة ، وصلنا ثم نزلنا لمشاهدة المدينتين ، وصورنا الكثير من الصور ، ثم عدنا أدراجنا .

• • •

الوداع الحزين



الأيام لا تدوم كما نريد، ويستحيل العيش بسعادة أبدية؛ فالظروف تتبدل والأقدار تتحول. قد نخطط لحياتنا ونسير وفق الخطة ولكن لا يمكننا الجزم بدوام الأحوال. هناك متغيرات وهناك عوامل مؤثرة، والحياة عبارة عن محطات، فيها الابتلاءات وفيها التضحيات. إن لم نخطأ يخطئ غيرنا، ونكون نحن الضحايا فليس من العقل الاعتراض على ذلك والاستسلام. لكن علينا الصبر، أليس الصبر من شيم الأقوياء. الصبر هو أول الحلول ثم بعده يجب علينا التكيف مع ما قد تغير وإعادة ترتيب الأوراق. لو كنت صاحب مشروع هل تتوقع الربح الدائم طبعا، وهذا مستحيل. إذن الأيام دول. تخيل أنك تعيش في حياة خالية من أية مشاعر سوى السعادة، هل تظن أنها ستكون عيشة هانئة. أجزم أنك ستوافقني بقول لا. إذن لماذا تكون يائسا ولماذا ترضى بالفشل أفلا تحاول وتكرر المحاولة. أم تريد الهرب من واقعك إلى الأحلام والأمنيات، فإما أن تعاني المرض أو تعان الإدمان. لا تهرب بل واجه التحديات أمامك حتى تهرم، ولا تتوقف أبدا. وتأكد أن يوم توقفك هو أول خطوة لتجهيز مراسم دفنك. هل سترضى بالموت دون أن تقضي حاجاتك، وتحقق رغباتك أو دون أن تقدم شيئا لتقدر فيه ذاتك أو أن تذكر بشيء مميز، يردده محبوك وأقربائك في كل اجتماع لهم. ثق تماما أننا جميعنا مررنا بمثل ما قد مررت أنت فيه. وقد عانينا من الألم والهم، عانينا من الحزن، عانينا من الفشل في تجارب كثيرة. ولكننا لا نستسلم أبدا، وسنصبر حتى يبزغ فجر جديد يعيدنا إلى الحياة، ويعيد لنا الأمل والرغبة في البقاء، وتجاوز العقبات.

اليوم هو اليوم الموعود هو يوم تخرجي من المعهد فقد جاءني اتصال من أبي

أجبرني على إنهاء هذه الرحلة الشيقة. قامت المديرة « كريستين » بالتحدث عني وعن المدة التي قضيتها في المعهد ثم قدمت لي شهادة التخرج. ثم تحدثت بعدها المعلمة « ليندزي » عن الجهد الذي بذلته أثناء التعلم وشكرتني على الرسائل اليومية التي كنت اكتبها على السبورة وقالت أعلم أنك ستعود لتحمل الكثير من المسئوليات، ولكن أرجو أن لا ترهق نفسك، وأتمنى أن تذكرنا دوما وأن تعود لزيارتنا يوما ما. كانت مؤثرة جدا بكلماتها، فجاء دوري في التحدث وكنت قد أعددت نفسي هذه المرة للارتجال في البداية شكرت والدي العزيز على دعمه لي للحضور هنا، ثم شكرت إدارة ومنسوبي المعهد جميعا على مشاعرهم وشكرت الطلاب السعوديين على دعمهم لي. قلت أنها من أجمل الفرص أن أتعرف على أصدقاء جدد، من كل مكان، عن طريق هذا المعهد الذي اعتبرته بيتا لي فقد؛ تحملنا المعلمون كثيرا، وقد ساندونا في أحزاننا وأفراحنا، ولكن الحياة تجبرنا على قبول أحكامها. ورغم ذلك فهي لن تتحكم في ذكرياتنا ولن تمنعنا عن التواصل حتى وإن رحلنا. كم كنت أتمنى المكوث هنا أطول فترة ممكنة وكم مرة نويت عدم العودة إلى الديار ولكن حان دوري لتحمل الأعباء الأسرية. فقد أكملت جزءا جيدا من هدفي لتعلم اللغة والآن وقت تحقيق رغبات الأهل والانتقال إلى الهدف التالي « البحث عن شريكة الحياة ». ثم قدمت إلى الإدارة عملا فنيا قمت برسمه في أوقات فراغي وقدمت نسخة للمعلمة السابقة، وقدمت تصميمين للمعلمة ليندزي كانت عبارة عن جمل تحفيزية مكتوبة باللغة العربية والانجليزية بطريقتي المعتادة نفسها لتضعهما في الصف حتى لا تنساني وحتى يستفيد منها الطلاب الآخرين. وأخيرا قدمت الحلوى إلى جميع الطلاب فصفقوا لي بحرارة، ثم قام الطلاب بتهنئتي وشكري على الهدايا البسيطة.

خرجت أنا والطلاب السعوديون من المعهد لتناول الغداء وهم يضحكون ويقومون بالتعليق والمزاح على المقالة التي قلتها في التخرج وقالوا: توقعنا أنك

ستبكي ولكن جميل أنه لم يحدث ذلك . قلت هي مشاعر مؤثرة ولن يلومني أحد على البكاء أن بكيت فأنا أرى هذه التجربة من أروع الأمور التي قمت بها في حياتي . وفي المساء عدت إلى البيت وأخبرت ديف ومارغ عن تفاصيل حفل التخرج . بعد ذلك ذهبت إلى غرفتي واستلقيت على فراشي لأخذ قسط من الراحة . جلست أفكر في المدة السابقة بما مر فيها من أحداث ، وذكريات ، ثم تذكرت اتفاقية «طريف» والقسم الذي رددناه كثيرا حتى انتهت فترة « محكوميتنا» أقصد دراستنا . وسألت نفسي لما لم نقدر على الوفاء بهذا القسم هل هو لصعوبة القسم أم لعدم جديتنا؟ لم أتوصل إلى إجابة وما استطعت تفسير ذلك فدخلت في سبات عميق .

جاءني اتصال من ستيفن قال عماد أرجو أن تأتي إلي فأنا في حاجة إليك . خرجت مسرعا إلى بيته لما رأيته أحسست انه ليس بحالة جيدة . قال لي أريد الذهاب معك . قلت له اركب وعلامات الاستفهام تحاصرني فالذي أمامي ليس في وضع طبيعي . اعترف لي مباشرة أنه تعاطى الكثير من « الماريجوانا » . صعقت من كلامه فكيف تبدل حاله بهذه السرعة ؟ ظننت أنه يبالغ في الوصف . ولكنه اقسم أن ذلك صحيح . سألته ما الذي أجبرك على التعاطي . فاخبرني أن الوالدين في البيت ليسا والديه! وإنما هم عائلة تبنوه ليقوم بخدمتهم . استغربت من إجاباته فهي محيرة ولم ألحظ ذلك من قبل . قسوت عليه بسبب استخدام المخدر . فقال واعترف أنه ليس معتادا عليه ولكنه اليوم كان حزينا جدا ، واحتاج إلى الراحة . أسررت في نفسي «أي راحة تتحدث عنها» ذهبت به قرب البحر وقمت بنصحه وتركته يعيد حساباته في حياته حتى وجدت أنه بدأ يتعاون معي . وقال إنك أعجبتني برقي تعاملك ، وأسلوبك الفريد ، وقد أعدت الفرح إلى قلبي المنهك ، ولم أنس أني قضيت معك أوقاتا ممتعة ، وكنت اسعد في كل مرة تأتيني ، وتصطحبني فيها إلى أصحابك في المقهى ، وفي السينما وفي كل مكان . لم أجد شيئا لقوله فعدت إلى منزله وتركته

ينام ثم تواعدت مع الأصدقاء وفي داخلي أسئلة متراكمة. وحيرة كبيرة في حال ستيفن، وكيف أستطيع إخراجه من هذه الدوامة التي هو قابع فيها.

في الغد ذهبت إلى ستيفن مبكرا وأخذته معي إلى تاوبو وقلت أريدك أن تغير حياتك إلى الأفضل وتفعل ما آمرك بالقيام به. اعتذر هو عن ما قد حصل في الأمس. فقلت ما كان في الأمس انتهى بالأمس ونحن أبناء اليوم، فاعزم على التغيير، وعدم العودة أبدا، لمثل هذه التصرفات غير المسئولة. وصلنا إلى مركز القفز فقلت: الآن سأدفع لك تذكرة القفز أريدك أن تجعل القفزة في بداية الانطلاقة لتغيير حياتك إلى الأفضل، وأريدك أن تصرخ بكل طاقتك أثناء القفز حتى تتحرر من القيود التي تمنعك من العيش بسلام. سار ستيفن إلى داخل المنصة. وأنا انتظره حتى ينهي هذه القفزة؛ لعلي أن أكون قد ساعدته في تجاوز المشكلة التي يعاني منها.

– المدرب: عماد هيا استيقظ؛ فقد حان دورك للقفز.

. قفز! أي قفز. وما الذي أتى بي إلى هنا؟ وأين أنا؟

– المدرب: أنسيت أنك وقعت على القفز من الطائرة.

. لحظة من فضلك دعني أتذكر، آه تذكرت يبدو أنني نمت فترة طويلة؛ فقد حلمت بأمور عديدة، هيا يا مدرب أفتح الباب...

• • •

توقيعات

(لم يكن القفز من الطائرة ومن قمة الجبل في «تاوبو» إلا البدايات لقفزات أهم في حياة الشاب الطموح عبدالله محمد الحسين ، حيث لم يكتف بالوصول إلى قمة الارتفاع حتى تبعها بقفزات إلى فضاءات أرحب

وما هذا العمل الجميل الذي تصور فيه الكلمة ، وتتكلم فيه الصورة إلا إحدى هذه القفزات التي ستستمر بإذن الله . . إن التغيير رحلة ممتعة في حياة الناجحين يسيرونها بخطوات ثابتة ، وقلة من الناس من يسلكونها قفزات ومنهم صاحب هذا العمل المميز . .

المدرب: عبدالله بن محمد القاسم

(مدرب التنمية البشرية)

• • •

مديرة المعهد

I can remember when you came to study here at New Horizon. You were such a kind and gently young man and every–one loved you as a friend and as a student. your beautiful posters are still on the classroom walls here at our school. When you got married we had a party here in your honor. You always joined in with the activities and we can remember when you went up to the snow with Kurt. It was so cold for everyone and the snow soaked through everyone>s shoes. The photos you brought back from Taupo when you went sky diving were very funny and we all enjoyed looking at them. You were a wonderful handsome Art Deco man with your cap and pipe in February. It has been our great pleasure to spend time with you and to keep in touch even today. I wish you all the best for your future happiness and remain your friend and Principal.

Christine Schmidli

• • •

عبدالله بن محمد الحسين

عمل في جامعة الملك سعود في لجنة التوجية والارشاد واللجنة الرياضية ٢٠٠٣ م
مدير تنفيذي في مؤسسة الأنابيب الخضراء للتجارة
مدير عام مؤسسة سحر الألوان للتجارة
مساعد مدير التسويق في أكاديمية همم للتدريب والإستشارات
مسؤول التطوير في مركز تنمية الإبداع
ممارس في البرمجة اللغوية العصبية
مدرب معتمد في برنامج الكورت لتعليم التفكير
معتمد لإصدار شهادات معتمدة من أكاديمية ماليندا العالمية
عضو نادي فوتوغرافيي الشرق الأوسط
عضو نادي مصوري الرياض

حياتنا تحتاج إلى قفزات ونقلات تكسر الجمود والخمول والملل، وتقضي على الروتين القاتل، نريد قفزات للتجديد والتغيير، وأخرى للتطوير، فإلى متى ونحن نرضى بالحياة البسيطة،لماذا لا نصبح علامة فارقة في مجتمعنا.
لماذا لا نكون قدوة يقتدي بنا الشباب.
يجب علينا خوض المغامرات والتحديات؛ لنبلغ السماء.
نريد القيام بقفزات تدفعنا إلى الانجاز وتشعل فينا الطموح والإصرار، وتقوي عزائمنا وهممنا؛ كي نتربع على قمم المجد.

رقم الايداع: 1433/2709
ردمك: 978-603-00-9547-6

السعر: 30 ريال

للتواصل مع الكاتب
facebook.com/qafazat12
www.twitter.com/qafazat12
qafazat12@gmail.com

